وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشَّهيد حمَّه لخضر الوادي

كلِّيَّة العلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة

قسم: التَّـــــــاريخ

الزُّهد بإفريقيَّة من خلال كتاب "رياض النُّفوس"

في طبقات علماء القيروان وإفريقيَّة وزُهَّادهم ونُسَّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم

مذكِّرة مُقدَّمة لاستكمال متطلَّبات شهادة الماستر أكاديمي في التَّـــــاريخ

تخصُّص: تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط.

إعداد الطَّالبات:

قمير قـــاسمي

صفاء سلطاني

نجلاء عبَّـــاد

إشراف الاستاذ:

السَّعيد عقبة

نوقشت المذكرة علنا يوم: ..../...../2023

أمام اللَّجنة المكوَّنة من الاساتذة:

اللَّجنة	الرُّتبة	الجامعة	الصِّفة
عبد الحميد العابد	أستاذ محاضر(ب)	جامعة الشَّهيد حمَّه لخضر	رئيساً
السَّعيد عقبة	أستاذ مساعد(أ)	جامعة الشَّهيد حمَّه لخضر	مشرفاً ومقرراً
علال بن عمر	أستاذ محاضر(أ)	جامعة الشَّهيد حمه لخضر	ممتحناً

السَّنة الجامعيَّة: 2023/2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

قـــال الله تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾

﴿سورة الأحزاب: الآية.23.﴾

إهـــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع:

لروح **أبي** الغالي و **أمِّي** رفيقة دربي.

و إلى قرَّة عيني و فِلذات أكبادي بنتايا "**تسنيم**" و "**سلسبيل**".

وإلى سندي ومُشجِّعي أخي الغالي "**تجاني**" و إلى أخواتي و إخواني ولكلِّ أفراد عائلتي.

وإلى الإنسانة القريبة من روحي والعزيزة على قلبي، والتي ترافقني بدعواتها أمي الثَّانية "**لالة**"

ولكلِّ زملاء الدِّراسة خاصة صديقاتي الغاليات على قلبي، "أم الخير"، "فايزة"، "عائشة"، "بشيرة".

وأخصُّ بالذِّكر أستاذي وقدوتي الأستاذ "**مُحمَّد حنَّاي**".

قمير قاسمي.

يوم الخميس 25 ماي 2023م

إهـــــــــداء

أهدي هذا العمل:

إلى روح والدي العزيز الذي أوصاني بالعلم.

وإلى أمي شمعة النُّور في حياتي.

وإلى كل إخواني و أخواتي و أصدقائي.

صفاء سلطاني

يوم الخميس 25 ماي 2023م

إهـــــــــداء

أهدي هذا العمل:

إلى والديا العزيزين.

وإلى رفيق دربي زوجي الغالي.

وإلي أبنائي وجميع أفراد عائلتي.

نجلاء عبَّاد

يوم الخميس 25 ماي 2023م

شكـــر و عرفـــــان

بداية الشُّكر لله عزَّ وجلَّ الذي أعاننا وشدَّ من عزمنا ووهبنا الصَّبر والإصرار لإكمال هذا البحث، لنجعل منه مشروع علم يُنتفع به.

نتقدَّمُ بأجمل عبارات الشُّكر والامتنان من قلوب فائضة بالاحترام والتَّقدير لأستاذنا المشرف "السَّعيد عقبة" على كلِّ ما قدَّمه لنا من دعم وتوجيه وإرشاد لإتمام هذا العمل.

كما نقدِّم أزكى تحياتنا وأجملها للأستاذ "مُحمَّد حنَّاي" على كلِّ ما قدمه لنا من مساعدة و منحهِ لنا بعضاً من وقته الثَّمين، فله كلَّ الشُّكر والامتنان.

والشُّكر الكبير موصول لأساتذة قسم التَّاريخ الأفاضل، وكلِّ أعضاء كلِّيَّة العلوم الاجتماعيَّة الإنسانيَّة من: أساتذة وإداريين وعاملين، كلٌّ باسمه ورسمه ومقامه.

صاحبات البحث

قائمة المختصرات الواردة في البحث

الـرَّمـز	الـمـعـنـى
تح	تحقيق
تخ	تخصص
تر	ترجمة
تع	تعريب
تق	تقديم
تص	تصدير
ج	جزء
جم	جمع
(د .د .ن)	دون دار نشر
(د .س .ن)	دون سنة نشر
(د. ط)	دون طبعة
ط	طبعة
(ط.خ)	طبعة خاصة
مج	مجلد
ص	صفحة
ع	عدد
(غ.م)	غير منشورة

مقدمة

تتكوَّن الحركات تاريخياً بناء على عوامل تنتجها ظروفٌ سياسيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة، وتدفع باتجاهها الحاجة للقيام بها؛ والحركات في جزء منها يُراد التَّغير ثمَّ البناء على ذلك التَّغير، فبناء على هذا تصبح الحركة منذ البداية حاملة لأهداف أو أنَّ أحد عوامل تكوينها وظهورها حاملاً لهدف؛ وهذا عين ما وقع مع **الحركة الزُّهديَّة** بـِ"**القيروان**" و"**إفريقيَّة**"، التي وُلدت من أرحام **البعثة العمريَّة**، التي كان مقوِّمها الأساس الصَّلاح ثمَّ العلم.

ولمَّا كان العلم مقوِّماً وأساسيًّا ودعامة كبرى في نهضة الشُّعوب، كان لعلماء ومشايخ الحركة الزُّهديَّة بـِ"القيروان" و"إفريقيَّة"، اهتماماً بالغاً لناحية تأطير مجتمع الحاضرتين والأخذ بيده، وفق مسلكين أساسيين هما: القدوة والتَّعليم.

أوَّلاً- التَّعريف بموضوع البحث:

تعتبر الحركة الزُّهديَّة بـِ"القيروان"و"إفريقيَّة" إحدى صور مجتمع الغرب الإسلامي النَّظرة، التي زيَّنت سماء التَّديُّن والتَّزكية الرُّوحيَّة، من خلال ترك زخرف الدُّنيا والإعراض عنها، والإقبال عن الله باتباع شرع الله، إقبال المحبِّ على حبيبه لا إقبال المجبر الخائف من الحساب والعقاب؛ ولهذا فلمتتبع لهذه الحركة في كلُّ مبانيها ومعانيها سيجد أنَّها قد بُنيت عن الحبِّ في الله بالله لله. مُقدِّمة نشاطاً حثيثاً ومعتبراً لناحية استنهاض المجتمع و وضعه في الطَّريق الصَّحيح، علماً وجهاداً – أصغراً و أكبراً –؛ وعليه سنحاول تسليط الضُّوء على واقع هذه الحركة وأهمِّ أعلامها، وكيف كانت حياتهم، وكيف قضوها مُشمِّرين على سواعد الجدِّ و الاجتهاد مُذلِّلين كلَّ الصِّعاب في سبيل أنْ يحيا الإسلام والأمَّة الإسلاميَّة أعزاء بالإقبال على الله وترك ما سواه.

ثانياً – دواعي اختيار الموضوع:

يُعتبر تاريخ الحركة الزُّهديَّة بـِ"القيروان"و"إفريقيَّة"من بين المواضيع التي تعتبر بكراً لقلَّة الدِّراسات التي تناولت أطواره بحسب اطلاعنا، وبحسب ما وقع تحت أيدينا من مقالات ودراسات؛ وعليه ارتأينا أنْ نُسلِّط الضُّوء على هذه الحركة من خلال ما رصده كتاب "**رياض النُّفوس**" للعلَّامة "**أبو بكر عبد الله المالكي**"، وبحسب ما تيسر لنا من قُدرة. وقد كان اهتمامنا بهذا الموضوع ناتجاً عن أسباب ذاتيَّة وأخرى موضوعيَّة نشير إليها فيما يلي:

- ✓ **الأسباب الذَّاتيَّة:**

1)- حبُّ البحث في تاريخ الزُّهَّاد والصَّالحين والتَّطلُّع إلى إحياء نهجهم من خلال دراسة سير هؤلاء الأعلام.

2)-الرَّغبة في التَّعرف على الحركة الزُّهديَّة بـِ"القيروان" و"إفريقيَّة"، والظُّروف المشكِّلة لها.

3)- الرَّغبة في تقديم دراسة أكاديميَّة تنبني على خطة علميَّة ومجموعة من المصادر والمراجع التي تُعضِّد إشكاليَّة البحث، وتكون إضافة للبحث العلمي في الجامعة الجزائريَّة، تتناول الحركة الزُّهديَّة بـِ"القيروان" و"إفريقيَّة"، وتأثيراتها ببلاد المغرب الإسلامي.

4)- تنوير الخلف من أبناء المغرب الإسلامي خصوصاً والمسلمين عموما بأسلافهم، وإبراز انجازاتهم وأعمالهم في شتى مناحي الحياة، ليقتدوا به ويستنيروا بنور علومهم ومعارفهم وسيرهم، ويواصلوا المسير على نفس الدَّرب الإسلام والأمَّة الإسلاميَّة بالاعتماد على العلم والصَّلاح.

- ✓ **الأسباب الموضوعيَّة:**

1)-قلَّة الدِّراسات الأكاديميَّة التي سلَّطت الضُّوء على الحركة الزُّهديَّة بـِ"القيروان" و"إفريقيَّة".

2)-نبش الذَّاكرة الإسلاميَّة من خلال كتاب "**رياض النَّفوس**"، وربط الأجيال الحاضرة بتاريخ أسلافها.

3)-إبراز دور العلماء الزُّهَّاد الصُّلحاء في الحفاظ على الهويَّة الإسلاميَّة لبلاد المغرب الإسلامي من خلال السُّلوك.

ثالثاً – الأهداف المسطرة للبحث:

نتطلع من وراء هذه الدِّراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، وهي كالتَّالي:

- التَّعريف بحياة الأعلام الزُّهاد، وتسليط الضُّوء على الصُّعوبات التي عاشوها، لكنه بالعزم و الاصرار والمثابرة والجدِّ وحبِّ الحياة بكرامة، حول المِحن إلى مِنح.
- لفت الانتباه إلى قدرة علماء الحركة الزُّهديَّة بـِ"القيروان" و"إفريقيَّة"، وبراعتهم في التَّفاعل مع مُحيطهم وتقديم المساهمة الحضاريَّة له، من خلال المؤلَّفات العلميَّة، والسَّير في طريق تنوير العامة والأخذ بيدها.

- تزويد المكتبة الجامعيَّة بدراسة أكاديميَّة تاريخيَّة تُبيِّنا للحركة الزُّهديَّة بـِ"القيروان" و"إفريقيَّة"، ومحاولات أعلامها الحثيثة لبناء الإنسان على قواعد العلم والدِّين.

رابعاً – حدود الدِّراسة:

اختيارنا لحدود هذه الدِّراسة بُنيت على الحدود الجغرافيةَّ أولَّاً، من خلال ضبط الحاضرتين المخصوصتين بالدِّراسة ألاَ هما: "القيروان" و"إفريقيَّة، وثانياً: بناء على ما رصده كتاب "رياض النُّفوس" الذي غطى حوالي خمسة(5) قرون.

خامساً – إشكاليَّة البحث:

تتمثل إشكاليَّة البحث المثارة في هذه الدِّراسة في التَّساؤل الرَّئيس التَّالي: **كيف رصد كتاب "رياض النُّفوس" الحركة الزُّهديَّة وتأثيراتها من خلال أعلامها بالقيروان وإفريقيَّة؟**

مع طرح عدَّة أسئلة مُساعدة تُمكِّننا من الإجابة على هذه الإشكاليَّة وهي:

- ما الإطار الجغرافي والتَّاريخي لحاضرتي "إفريقيَّة" و"القيروان"؟
- ما هي الدَّويلات التي حكمت الحاضرتين خلال فترة الدِّراسة التي رصدها كتاب "رياض النُّفوس"؟
- ما الأسباب الدَّاعية لتأليف كتاب "رياض النَّفوس"؟
- ما الأخبار التي رصدها هذا المُؤَلف بين دفتيه؟
- كيف قدَّم الحركة الزُّهديَّة من خلال زُّهاد "القيروان" و "إفريقيَّة"؟
- ما الدَّور والأثر الذي أدَّاه الزُّهاد في هذا المجتمع "القيروان" و"إفريقيَّة"؟

سادساً – مناهج الدِّراسة والبحث:

اعتمدنا في هذه الدِّراسة على المنهج التَّاريخي لرصد الأحداث التَّاريخيَّة، والمنهج الوصفي في محلِّ وصفِ مُجرياتها وكذا الأحداث المحيطة بها، إلى جانب التَّحليل للوقوف على كيفيَّة تشكُّل ظاهرة الزُّهد والحركة الزُّهديَّة وأثارها وتأثيراتها من خلال ما رصده كتاب "رياض النُّفوس".

سابعاً – المصادر والمراجع المعتمدة:

إنَّ أهمِّ المصادر التي اعتمدنا عليها في هذا البحث، هو: كتاب **(رياض النُّفوس)** المُحقَّق من طرف الدُّكتور "البشير بكوش" والدُّكتور "مُحمَّد العروسي المطوي"، واللَّذان أبدعا في تحقيقه ما سهَّل علينا البحث بين دفتيه دون أن يستشكل علينا شيء. كما استعنَّا بمصدر آخر يخص القيروان، ألاَ وهو كتاب **(مَعالم الإيمان في معرفة أهل القيروان)** للعلَّامة "عبد الرَّحمن بن مُحمَّد الأنصاري الدَّبَّاغ"، والذي استفدنا منه في معرفة تفاصيل حياة أعلام "القيروان"، وكذلك كتاب "الرَّقيق القيرواني"، الموسوم بعنوان: **(تاريخ إفرِيقيَّة والمغرب)**، الذي رصد لنا الواقع السِّياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي كانت تزخر به "إفريقيَّة" وبلاد "المغرب" في فتلك الفترة ليسهل علينا، فهم الواقع المعيشي للزُّهاد وكذا مجتمعهم. ناهيك على مصادر تاريخيَّة أخرى زخرت بها قائمة المصادر والمرجع. مع الاستعانة بمجموعة مراجع أخرى من المراجع، منها: كتاب**(القيروان ودورها في الحضارة الإسلاميَّة)** لصاحبه "مُحمَّد مُحمَّد زيتون"، وكتاب **(عصر القيروان)**، لصاحبه "أبو القاسم مُحمَّد كرو"، ومجموعة مراجع أخرى، أمدَّتنا بتفاصيل حياتيَّة أثرت بحثنا لناحية فهم الواقع المتشكِّل في الحاضرتين.

أضف إلى هذه المصادروالمراجع،فلقداستفدنامنالعديدمنالرَّسائلالجامعيَّةالتيأشارتإلىتاريخ"إفريقيَّة" و"القيروان"، منها: أطروحة دكتوراه، للدكتورة "فاطمة عبد القادر رضوان"، والموسومة بعنوان:**(مدينة القيروان في عهد الأغالبة (184 – 296هـ))**، ناقشتها بجامعة أمُّ القرى، بمكَّة المكرَّمة، سنة 1991م، والتي استفدنا منها في فهم واقع المدينة في عهد الأغالبة؛ مع ومؤلفات أخرى أفادت موضوعنا.

ثامناً – خطة البحث:

حتى تكون خطة الدِّراسة أكثر شموليَّة وإحاطة لكلِّ مُعطاً يُساعد في مُقاربة الحقيقة، وتكون إجابتنا عن الإشكاليَّة شافية. فقد قسَّمنا الدِّراسة إلى مُقدِّمة وثلاثة فصولٍ وخاتمة، مع مجموعة من الملاحق، وثبتٍ للمصادر والمراجع وفهرس محتويات.

جاء الفصل الأوَّل بعنوان: لمحة جغرافيَّة وتاريخيَّة عن إفريقيَّة والقيروان، والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأوَّل تحت عنوان: **الإطار الجغرافي لولاية إفريقيَّة**، أمَّا المبحث الثَّاني

فجاء بعنوان: **الإطار الجغرافي لمدينة القيروان**، أمَّا عن المبحث الثَّالث: فجاء بعنوان **الأوضاع العامة لإفريقيَّة والقيروان**.

وتطرقنا في الفصل الثَّاني والذي يحمل عنوان: التَّعريف بالمؤَلِف والكتاب، ويندرج ضمنه مبحثين، الأوَّل: تعرضنا فيه إلى **حياة أبو بكر عبد الله المالكي**، أمَّا المبحث الثَّاني: تطرقنا فيه إلى **تقديم كتاب (رياض النُّفوس)**، وكلُّ المتعلقات الخاصة به، وهو موجودة في متن البحث.

أمَّا الفصل الثَّالث فقد جاء بعنوان: الحركة الزُّهديَّة وإرهاصات ظهورها بإفريقيَّة، وقسَّمناه إلى مبحثين، المبحث الأوَّل بعنوان: **مفهوم الحركة الزُّهديَّة وبدايات ظهورها**، والمبحث الثَّاني بعنوان: **نماذج لأهم زهَّاد إفريقيَّة لكتاب المالكي وأثرهم في حياة العامة**.

وعن خاتمة الدِّراسة فقد جاءت عبارة على استنتاجات حول المضمون المقدَّم.

تاسعاً – صعوبات البحث.

من الطَّبيعي جداً أنْ تواجه أي باحث أثناء إنجازه لبحثهِ العديد من الصُّعوبات والعراقيل، التي تكاد تثنيه عن العمل، لكن يتغلب عليها بالصَّبر والمثابرة. ومن جملة الصُّعوبات التي واجهتنا:

- قلَّة الكتابات التي تطرقت إلى الحركة الزُّهديَّة تحديداً.
- قلَّة الفترة الزَّمنيَّة لإعداد الدِّراسة، لم تكن كافية لتغطية ما كنا نصبوا إليه.

في الأخير: نتقدم بين يدي هذه الدِّراسة بأسمى عبارات الشُّكر والتَّقدير والامتنان لأستاذنا المشرف "**السَّعيد عقبة**" الذي سهر معنا على اعداد الخطة، وبلورة عناصرها، ومناقشة المنهجيَّة، وكان له الفضل الكبير في توجيهنا طيلة مراحل انجاز الدِّراسة، إمَّا عن طريق الهاتف، أو البريد الإلكتروني، فكان مثالاً للتسديد والتَّصويب والتَّوجيه، حتى تجاوزنا العديد من الصِّعاب، ووصل البحث إلى شكله النِّهائي.

لا شك أنَّ كلَّ عمل ينجزه صاحبه يعتريه النُّقصان، ويشوبه الخطأ، ويؤثر عليه التَّقصير، فإنْ أخطأنا فذلك ضعف من أنفسنا، وإنْ أصبنا فهو توفيق من الله سبحانه وتعالى الذي أعاننا وسدَّدنا في عملنا هذا، فله الشُّكر والثَّناء الحسن في الأوَّلى والآخرة، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأوَّل

لمحة جغرافيَّة وتاريخيَّة

عن إفريقيَّة والقيروان

- **المبحث الأوَّل: الإطار الجغرافي لولاية إفريقيَّة.**
- **المبحث الثَّاني: الإطار الجغرافي لمدينة القيروان.**
- **المبحث الثَّالث: الأوضاع العامة لإفريقيَّة والقيروان.**

لدراسة أيِّ إقليم أو منطقة وتأثيرها في بُنية أفرادها الجسميَّة وكذا الفكريَّة، لابد لنا من معرفة إطارها الجغرافي المكوِّن لها، وكذلك التَّاريخي، حتى نستوضح صورة التَّكوين ومن ثمَّ التَّأثير، هذا الأمر سينسحب على موضوعنا هذا لناحية تأثير هذا الوسط– إفريقيَّة و القيروان – في بناء شخصيَّات أنموذج دراستنا، فما هو الإطار الجغرافي والتَّاريخي لولاية إفريقيَّة ومدينة القيروان، وكذا أوضاعهما مع الدَّول الإسلاميَّة التي قامت بها؟

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لولاية إفريقيَّة:

1)– الموقع: تقع "إِفْرِيقِيَّة"– تونس حالياً – في شمال القارة الإفريقيَّة؛ وتمتد مساحتها بالإضافة إلى "تونس حاليا"، إلى أجزاء من "طرابلس" غرباً، وأجزاء من "جزائر بني مزغنة" شرقاً، وبالتحديد حتى مدينة "قسنطينة" حاليا[1]؛ويقول "البكري" أنَّ طول إِفْرِيقِيَّة من "برقة" شرقاً إلى "طنجة" موريطانيا القيصريَّة بالجزائر غرباً، وعرضها من البحر إلى الرِّمال بداية بلاد السُّودان وهنا يمكن الاختلاف حول مدلول مصطلح" إِفْرِيقِيَّة" جغرافيا[2]؛ حيث يرى عدد من المؤرخين القدامى كـ"ابن عبد الحكم" وغيره أنَّ "إِفْرِيقِيَّة" هي أوَّل أقاليم المغرب اعتماداً على الأقوال التي تنسب إليهم[3].[أنظر الملحق رقم 01]

2)– أصل التَّسمية: أطلق العرب اسم "إِفْرِيقِيَّة" على الجزء الذي تمَّ فتحه ويشمل المغرب الأدنى والجزء الشَّرقي من "المغرب الأوسط"، رغم اختلاف الجغرافيين المسلمين في ضبط حدوده، نظراً للتغيُّرات السِّياسية التي طرأت على هاته المنطقة، والمتمثِّلة في الدُّول، ومن أهمها: الأغالبة والفاطميون والموحدون[4].أمَّا الرُّومان فسموْها ولاية "إِفْرِيقِيَّة القنصليَّة"(البروقنصليَّة)؛ وتمتد من "قرطاجنة" ومـــا حولها إلى "نوميديا" غرباً[5]، ومصطلح

---

[1]– سعد زغلول عبد الحميد:**تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، ط.1**، منشأة المعارف، القاهرة، 1978م، ص.68.

[2]– أبو عبد الله البكري: **المغرب في ذكر بلاد افريقيَّة والمغرب**، تح: حماه الله ولد سالم،**ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت 2003م، ص.95.

[3]– يوسف أحمد حوالة: **الحياة العلميَّة في افريقيَّة "المغرب الأدنى "منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (450/90هـ)،ج.1، ط.1**، جامعة أم القرى، مكَّة المكرَّمة، 2000م، ص.47.

[4]– أبو عبيد الله البكري: المصدر السَّابق، ص.94.

[5]– السَّيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط.1**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 1999م، ص.39.

"إفْرِيقِيَّة" له مدلولان؛ الأوَّل: يعني به المنطقة المُمتدة من "برقة" شرقاً إلى "طنجة" غربا، كما أسلفنا سابقاً، وهو المدلول العام، والذي يُعادل بلاد المغرب ككل؛ والثَّاني: خاص؛ ويضمُّ ولاية إفْرِيقِيَّة الرُّومانيَّة المتمثلة في "المغرب الأدنى" الممتدُ من "طرابلس" شرقاً إلى بجاية غرباً[1].ثمَّ تحدَّد مدلول "إفْرِيقِيَّة"، فنجده في معظم المصادر العربيَّة يعني الإقليم الذي تتوسطه القيروان[2].

وهناك من يقول سُمِّيت "إفْرِيقِيَّة" لنزول "أفريقش" من ولد حام بن نوح عليه السلام بها، وهو أبو البربر خلاً صنهاجة، فيعودون إلى حِمير؛ أمَّا "الطَّبري" فيقول: "أفريقش" إلى ذكر صنهاجة أوَّل مُدنها من "طرابلس" إلى "قابس" السَّاحلية المعروفة بالأنهار والجبال، فهي أخصب مدن "إفْرِيقِيَّة" وأكثرها فواكه وأعناب على ساحل مدينة "صفاقس" إلى "المهديَّة" ومن "المهديَّة إلى مدينة "سوسة"[3].وعند أهل العلم أطلق على "إفْرِيقِيَّة"بلد القيروان، وهو إقليم مُستقلٌّ، له حدود عند أهل السِّير سُمِّيت بإفريقيَّة نسبة لموقعها، أيْ تُفرِّقُ بين المشرق والمغرب؛ كما قيل يعود اسمها نسبة لأهلها الأفارقة[4].

المبحث الثاني: الإطار الجغرافي لمدينة القيروان:

1)- الموقع: تأسَّسَتِ "القيروان" المدينة المعسكر في منطقة "قمونيَّة، التي مَثَّلت منذ الغارات الأولى المكان المفضل لإقامة الجيوش العربيَّة[5]، وتمتدُّ هذه المنطقة على مسافة ثمانين كيلومتر، أين توسَّطت وحدها سهل القيروان الحالي[6].وتبعد مدينة "القيروان" 156كممن العاصمة الحالية "تونس"[7].

---

[1]- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السَّابق، ص.68.

[2]- السَّيد عبد العزيز سالم: المرجع السَّابق، ص.39.

[3]- عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: مُحمَّد سعيد العريان ومُحمَّد العربي العلمي، **ط.1**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م، ص.351.

[4]- ابن أبي الدِّينار: **المؤنس في أخبار إفريقيَّة وتونس، ط.1**، المطبعة الدَّوليَّة، تونس، 1986م، ص.15.

[5]- هشام جعيط: **تأسيس الغرب الإسلامي (القرن الأوَّل والثَّاني هجري/السَّابع والثَّامن ميلادي)، ط.1**، دار الطَّليعة، بيروت، 2004م، ص.18.

[6]- مُحمَّد حسن: **الجغرافية التَّاريخيَّة لإفريقيَّة من القرن الأوَّل إلى القرن التَّاسع (هـ)/السَّابع – الخامس عشر (م) فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، ط.1**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، 2003م، ص.70.

[7]- أبو عبيد الله البكري: المصدر السَّابق، ص.99.

استقر "معاوية بن حديج" بمكان اسمه القرن، وقبل عودته لـ"مصر" بَنَى فيه مباني وحفر به الآبار وسمَّاه قيروواناً؛ يقول المالكي: «بأنَّ معاوية قد اختط مدينة القيروان وأقام بها مدَّة إقامته بإفريقيَّة وحفر آباراً عند باب "تونس" في ناحية الجبل منه، منحرفاً للشرق بالقرب من مصلَّى الجنائز، تسمى للآن آبار حديج؛ وذلك قبل تأسيس القيروان»[1].

2)- أصل التَّسمية: أصل كلمة "القيروان" فارسي، والتي يقصد بها موضع الجيش ومكان السِّلاح أو محط تجمع النَّاس أو القافلة أثناء الحرب[2]؛ حيث يُنْطَقُ "كِارَوَانْ" قبل أنْ يُعرَّبُ إلى "القِرَوان"؛ ويعني الظَّهر وهو موضع مدينة في سهل فيضي، على مرتفع صغير، أين عسكر "عقبة ابن نافع"[3].

المبحث الثالث: الأوضاع العامة لإفريقيَّة والقيروان:

1)- سياسياً: تعاقب على "إفْرِيقِيَّة" و"القيروان"، عدَّة حقب اختلفت فيها أنظمة الحكم، من حقبة إلى حقبة، فكيف كانت عبر هذه العصور سياسياً؟

1 – 1 – عصر الولَّاة: بعد أنْ تمَّ فتح "إفْرِيقِيَّة" على يد "حسان بن النُّعمان واستقرَّ الوضع للمسلمين فيها، توافد الوُلَّاة عليها من قبل خلفاء "بني أُميَّة"، ثُمَّ من قبل خلفاء "بني العباس" لإدارة شؤون ولاية "إفْرِيقِيَّة" التي كان مَقَرُّها "القيروان"[4]، وسُمِّيت هذه الفترة إلى غاية قيام الدُّول المستقلة بعصر الولاة[5].

وبعدما ثُبِّتَت أقدام المسلمين بالمنطقة عرفت اتساعاً وصل حدِّ "المغرب الأقصى" و"الأندلس"، حيث تمتَّع والي "القيروان" بالتَّحكم في زِمام أمور هذا الإقليم الشَّاسع، لكن سرعان ما انكمش واقتصر على "إفْرِيقِيَّة" فقط جَرَّاءَ ثورات البربر والرُّوم[6]؛ كما عُرف عن هذه الفترة سرعة تغيير الوُلَّاة، ودليل ذلك كثرة عَددهم، والذي تجاوز تسعة عشر والياً بدأً

---

[1]- مُحمَّد مُحمَّد زيتون: **القيروان ودورها في الحضارة الإسلاميَّة، ط.1**، دار المنار، القاهرة، 1988م، ص.71.

[2]- أبو عبيد الله البكري: المصدر السَّابق، ص.99.

[3]- مُحمَّد حسن: المرجع السَّابق، ص.68.

[4]- مُحمَّد مُحمَّد زيتون: المرجع السَّابق، ص.103.

[5]- حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط.4**،دار الرَّشاد، القاهرة، 2000م، ص.65.

[6]- مُحمَّد مُحمَّد زيتون: المرجع السَّابق، ص.103.

من سنة78هـ/697م إلى غاية 184هـ/800م[1].ومع نهاية الخلافة الأمويَّة في حكم "هشام بن عبد الملك" بالمشرق و"عبيد الله بن الحبحاب" والي "إفْرِيقِيَّة" سنة 119هـ /737م نشبت ثورة عارمة عَبَّرت عن غضب سكَّان بلاد المغرب إزاء سياسة الحُكَّام العرب للمنطقة بقيادة "مَيسرة"، حيث وصلت لإفَرِيقِيَّة مما جعل الخليفة يرسل جيشاً عُدَّتُه 27000مقاتل بقيادة "كلثوم بن عياض القشيري" فانهزم وقتله البلديين، ثُمَّ أرسل "حنظلة بن صفوان الكلبي" بجيش ضخم للقيروان بعدما سيطر عليها الخوارج[2]، حيث تضافرت جهودهم للإطاحة بحكومة "القيروان"، فخلَّفت آلاف القتلى إثر 375 موقعة، مما شكَّل ذُعراً وقلقاً للخلافة العباسيَّة فضاعفت جهودها للقضاء عنها نهائياً، وذلك بإرسال "مُحمَّد بن الأشعث" بحملة للقضاء عن زعيم الإباضيَّة "أبو الخطَّاب عبد الأعلى بن السَّمح بن مالك المعافري"، وكان له ذلك؛ عَرَف هذا الصِّراع بحالة من المدِّ والجزرِ فلم يهدأ بال الخليفة، فاستمرَّ ببعث الحملة تلو الأخرى لاستئصال حركة الخوارج نهائياً من "إفْرِيقِيَّة"، وفي الأخير كان النَّصر للمهالبة[3] الذين أوكلهم الخليفة العبَّاسي مُهمَّة القضاء عليهم، حيث عُرفوا بقدراتهم في التصدي لهذه الحركة منذ العصر الأموي[4].

على الرُّغم من الوضع المتوتر بالمنطقة تمسَّك العبَّاسيون بقاعدة "القيروان" من خلال إرسال صفوة رجالهم من سياسيين وعسكريين وإداريين للتحكُّم بالأوضاع أولاً، وخشية انفصال ولاية "إفْرِيقِيَّة" عنهم ثانيا[5]؛وأبرز رجالهم المُبرَّزين لهذه المهمَّة كان "عبد الواحد بن يزيد الهواري"، الذي تمكَّن من القضاء على الإباضيَّة بِـ"القيروان" بمساعدة علمائها

---

[1]– المرجع نفسه، ص.106.

[2]– حسين مؤنس: المرجع السَّابق، ص.73.

[3]– **المهالبة:** بطن يعرف بآل مهلب، **ينظر:** عمر كحالة: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة،ج.3، ط.8**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م،ص 1151.

[4]– الرَّقيق القيرواني: **تاريخ إفريقيَّة والمغرب**، تق وتح وتع: مُحمَّد زينهم مُحمَّد عزب، **ط.1**، دار الفرجاني للنشر والتَّوزيع، القاهرة، 1994م، ص25.

[5]– مُحمَّد مُحمَّد زيتون المرجع السَّابق، ص.121.

وصلحائها مدافعين عن المذهب السُّني[1]، بعد صراع دام حوالي ثلاثين سنة سيطر فيها الصُّفريَّة سنة 140هـ/758م على "إفْرِيقِيَّة" مدة سنة وشهرين، والإباضيَّة حوالي سنتين[2].

وقد برز دور الفقهاء والمعلِّمين من خلال إلقاء الدُّروس بالمساجد والكتاتيب لتوعية العامة بمساوئ المذهب الخارجي، ومدى خطورته عن الدِّين الإسلامي، ودعم المذهب السُّنِّي، الذي يمثِّل شعار الدَّولة العباسيَّة[3].

1 – 2 – عصر دولة الأغالبة: أدى تمتع "القيروان" باستقلال شبه كلِّيٍّ لحريَّة التَّصرُّف بالشَّأن السِّياسي وعموم الأمن والاستقرار، إلى اتساع نطاقها في تلك الفترة، والذي عرف بـِ"الدَّولة الأغلبيَّة" التي دامت ما يقارب مائة واثنتي عشرة سنة على يد "إبراهيم بن الأغلب" سنة 184هـ/800م في أثناء حكم الخليفة العباسي "هارون الرَّشيد"[4]. وقد امتدَّ حكم الأغالبة من "طرابلس" شرقاً إلى غاية إقليم "الزَّاب" غرباً – أجزاء من شرق المغرب الأوسط – وهي تُعدَّ الأولى؛ حيث تعهدت الخلافة العباسيَّة إلى حكم رجل من المغرب للانفراد بولاية من ولاياتها مع توارث الحكم داخل بيته مع الولاء والطَّاعة للخلافة، وحماية حدودها من النَّاحية الغربيَّة[5].

تَميَّز الوضع في هذه الدَّولة بالازدهار العلمي والحضاري والعمراني، وذلك باستقرار الأمن بعد التَّخلُّص من فتنة الخوارج[6]، كما تمكَّن "إبراهيم بن الأغلب" من تكوين قوَّة عسكريَّة مُشكَّلة من بربر مستعربة وصقالبة وسود، وإنشاء أسطول بحري ضخمٍ، والذي من خلاله تمكَّن من غزو "صقلِّيَّة" و"مالطا" و"السَّواحل الإيطاليَّة"، وظلَّ على ولائه للخلافة العباسيَّة برفع شعارها أثناء غزواته، ودفعِ الخراج الذي قُدِّر بأربعون ألف دينار، كما أسَّس مدينة جديدة تقع على بعد ثلاثة أميال من جنوب "القيروان" سمَّاها "العباسيَّة"

---

[1]– حسين مؤنس: المرجع السَّابق، ص.79.

[2]– مُحمَّد علي الصَّلَّابي: **صفحات مشرقة من التَّاريخ الإسلامي، ج.2، ط.1**، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2013م، ص.359.

[3] – الرَّقيق القيرواني: المصدر السَّابق، ص.26.

[4]– مُحمَّد مُحمَّد زيتون المرجع السَّابق، ص.122.

[5]– حسين مؤنس: المرجع السَّابق، ص.95.

[6]– مُحمَّد علي الصَّلَّابي: المرجع السَّابق، ص.474.

تمجيداً لها[1]؛ لكن لم تخل دولة الأغالبة من المشاكل الدَّاخليَّة والمتمثِّلة في ثوراتٍ مُعظمها من الجند، وأشدُّها ثورة "عمران بن مجالد الرُّبيعي" سنة194هـ/810م، حيث تمكَّن هذا الأخير من الاستيلاء على "القيروان" لمدَّة سنة كاملة لاقتناعهم بأحقِّيَّة مشاطرة الحكم مع الأغـــالبة، نظراً لكونها دولة عسكريَّة؛ وكانت بؤر هذه الثَّورات أغلبها "بإِفْرِيقِيَّة" وطرابلس لكن سرعان ما أخمدها "إبراهيم بن الأغلب"[2] .

وقد تَمتَّعت ولاية "إِفْرِيقِيَّة" بهذه الفترة برخاءٍ اقتصادي وزراعي؛ واستمرَّت دولة الأغالبة إلى غاية سنة 296هـ/909م مع دخول الفاطميين[3].

1 – 3 – عصر الدَّولة العبيديَّة: في سنة 296هـ/908م اتجه "أبو عُبَيْد الله المهدي" لمدينة "رَقَّادَة" وأعلن عن قيام الدَّولة العبيديَّة الفاطميَّة، واتخاذه لقب "المهدي"، وضرب السِّكَّة باسمه[4]، وذلك بعدما تخلَّص من "أبي عبد الله الشِّيعي"، الذي سبقه بالحكم بحوالي بحوالي عشر سنين، كما تخلَّص من أخيه "أبي العباس" و"غزوية بن يوسف" بعد عِدَّة مُؤامرات حِيكت ضِدَّهم وكلَّ من ناصرهم[5]؛ وما إنْ بسط نفوذه على كامل بلاد "المغرب" بَنَى مدينة "المَهديَّة" كعاصمة لدولته والتي استغرق بناؤها ثلاث سنوات، تقع على رأس السَّاحل الشَّرقي لإِفْرِيقِيَّة شمال "سوسة"، حيث يصعب الوصول إليها؛ فهي حصن منيع وبها دار لصناعة السُّفن؛ فاستقر بها وجعلها مركزاً لِحكمه الذي دام خمسة وعشرون سنة، حيث بَغِضَه النَّاس لسوء معاملته، وأنكر أساليبه فقهاء المالكيَّة[6]، خاصة في قمعه لثورة "صاحب الحمار"، التي كادت أنْ تُطيح بالدَّولة بعدما ضَيَّقت الخناق عليها، لكن سرعان ما فشلت هذه الأخيرة، وذلك لانقسام صفوف الثَّائرين وخروجهم عن قائدهم، مع

---

[1]– الرَّقيق القيرواني: المصدر السَّابق، ص.29–30.

[2]– مُحمَّد علي الصَّلَّابي: المرجع السَّابق، ص.474.

[3] – أبو القاسم مُحمَّد كرو: **عصر القيروان، ط.2**، دار طلاس للدراسات والتَّرجمة والنَّشر، دمشق، 1989م، ص.18.

[4]– فراس سليم السَّامرائي: **تاريخ المغرب العربي،ط.1**، دار الرِّضوان، عَمَّان، 2014م، ص.130.

[5]– مُحمَّد علي الصَّلَّابي: المرجع السَّابق،ص.36.

[6]– حسين مؤنس: المرجع السَّابق،ص.147–148.

مساعدة "زيري بن مناد" ورجاله من بربر "صنهاجة"، مَكَّن وأعطى نفساً عميقاً للدولة للقضاء على الخوارج بإفْرِيقِيَّة، مما ساعدها على تحقيق طموحاتها التَّوسُّعيَّة[1].

وتَوَالَى على حكمها أربعة حكَّامٍ، هم: "أبو عبيد الله المهدي"، "القائم بأمر الله أبو القاسم"، "إسماعيل المنصور"، و"المعز لدين الله الفاطمي"[2]؛ ونظراً لسيادة المذهب المالكي بالمغرب عامة، و"إِفْرِيقِيَّة" خاصة، واختلافه مع المذهب الشِّيعي من جهة، ونفور العامة من سياسة الفاطميين من جهة أخرى؛ أَدَّى هذا الأمر إلى أنْ يكون مصير الدَّولة هو السُّقوط[3].

1 – 4 – عصر الدَّولة الصَّنهاجيَّة: عرض "المعزُّ لدين الله" على "بلكين بن زيري بن مناد الصَّنهاجي" ولاية "إِفْرِيقِيَّة" و"المغرب"، نظراً لكونه من أكابر قبيلة صنهاجة الموالية للدولة الفاطميَّة والمساعدة لها في القضاء على الثَّورات القائمة ضِدَّها، وذلك بعد تغيير مركز حكمه للقاهرة، في مقابل الولاء والتَّبعيَّة للدولة الفاطميَّة وإبقاء المذهب الشِّيعي قائماً بالمنطقة[4]؛ ومع تأسيس الفاطميين لمدينة "لقاهرة" وجعلها عاصمة لهم، أتاح للزيريين التَّفرد بحكم بلاد "المغرب" وإعلان انفصالهم عن الدَّولة العبيديَّة سنة435هـ/1044م[5]، وبهذا دخلت بلاد "المغرب" طوراً جديداً تمثَّل في استقلال البربر بالحكم، فبنو زيري، قبيلة بربريَّة أصيلة مستعربة[6].

اتجه بنو زيري من عاصمتهم "آشير" إلى "القيروان"، وبالضَّبط منطقة المنصوريَّة مقرَّ حكم الفاطميين، تحت حكم "يوسف بلكين بن زيري" الذي امتاز بشدَّته وولائه للفاطميين طيلة فترة حكمه، وخلفه ابنه المنصور(373 – 376هـ/984 – 987م)، الذي قطع صِلته بالدَّولة الفاطميَّة وأعلن سياسته المستقلَّة عنها، ثم "باديس بن منصور" (386 –

---

[1]– مُحمَّد الهادي الشَّريف: **ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التَّاريخ إلى الاستقلال**، تع: مُحمَّد الشَّاوش ومُحمَّد عجينة، **ط.3**، دار سراس، تونس، 1993م، ص.46.

[2]– التُّهامي نقرة: **القيروان عبر العصور**، **ط.1**، المكتبة الثَّقافيَّة، القيروان، 1964م، ص.77.

[3]– ابن أبي الضِّياف: **إتحاف أهل الزَّمان بأخبار تونس وعهد الأمان**، تح: لجنة من وزارة الشُّؤون الثَّقافيَّة، **ج.1، ط.2**، الدَّار العربيَّة للكتاب، تونس، 2004م، ص.125.

[4]– حسين مؤنس: المرجع السَّابق،ص.156.

[5]– أبو القاسم مُحمَّد كرو: المرجع السَّابق،ص.19.

[6]– حسين مؤنس: المرجع السَّابق، ص.157

406هـ/996 – 1016م)، والذي عرفت فترة حكمه بكثرة الثَّورات، وحكم بعده ابنه "المعز" (406 – 453هـ/1016 – 1061م)، الذي تَفرَّد بحكم "إِفْرِيقِيَّة" وألغى المذهب الشِّيعي رسمياً وأخذ المالكيَّة مذهباً رسمياً لدولته[1]، ثُمَّ تولى ابنه "تميم" زمام الحكم، ثُمَّ "علي"، وآخرهم "الحسن" آخر ملوك صنهاجة[2]؛ حيث شهدت الدَّولة أثناء حكمهم ضعفاً تمثَّل في انقسام الزِّيريين والفتنة المذهبيَّة بين الشِّيعة والسُّنة، التي أسفرت على عدد هائل من الضَّحايا؛ كما تدهور الحال الاقتصادي للدولة[3]، وكان زحف قبائل "بني هلال" على "إِفْرِيقِيَّة" عاملاً مكمِّلاً لاضمحلال الدَّولة الصَّنهاجيَّة، وذلك بسبب تنازع زعماء هذه الأخيرة في تقسيم المنطقة، بعد الاستيلاء عليها، ولم يتبقَّ للحكم الصَّنهاجي سوى الجزء المُمتدِّ من "سوسة" إلى "قابس" فقط[4].

2)– اجتماعياً: حاز مجتمع ولاية "إِفْرِيقِيَّة" على خليط متنوِّع من السُّكَّان؛ فكيف كانت التَّركيبة السُّكَّانيَّة لهاته الولاية؟

2 – 1 – التَّركيبة السُّكَّانيَّة:

2 – 1 – 1 – البربر: ويأتون على رأس التَّركيبة السُّكَّانيَّة لكونهم السُّكَّان الأصليين، وينقسمون بدورهم إلى قسمين؛ بربر البدو(البتر): مُستقرين بالصَّحاري والواحات، وعُرف عنهم الإغارة على من يجاورهم وممارسة الرَّعي. وبربر الحضر(البرانس): اشتهروا بالزِّراعة والصِّناعة لاحتكاكهم بالقرطاجيين واللاتينيين الذين سكنوا المناطق الخصبة والسُّفوح المزروعة.

2 – 1 – 2 – الرُّوم: حكموا البلاد ومع الفتح قَلَّ عددهم، فمنهم من اعتنق الإسلام، وتمركزوا في سواحل (قرطاجنة) وبلاد الجريد، وهناك من هاجر لجنوب أوربا وكذا صقلِّيَّة.

---

[1]– مُحمَّد الهادي الشَّريف: المرجع السَّابق، ص.48.

[2]– التُّهامي نقرة: المرجع السَّابق، ص.110.

[3]– مُحمَّد الهادي الشَّريف: المرجع السَّابق، ص.49.

[4] – التُّهامي نقرة: المرجع السَّابق، ص.111.

2 – 1 – 3 – الأفارقة: استقروا بالسَّواحل ونَشِطُوا بالمجال الصِّناعي والزِّراعي[1].

2 – 1 – 4 – العرب: أدى الفتح الإسلامي لـ"إِفْرِيقِيَّة" إلى مجيئ وفود العرب على شكل جند، وانصهارهم مع البربر عن طريق المصاهرة والمساهمة مع الجيوش الإسلاميَّة الفاتحة؛ ومن القبائل العربية الوافدة نجد: "التَّميميون"، "الأنصار"، "الأوس"، "الخزرج"، "الأزد"،"القيسيون"، "تنوخ"، "بنو جرير"، "الكنديون"، "كِنانة"، وغيرهم، حيث لم يجد العرب صعوبة في الاختلاط بالبربر نظراً لتشابه البيئة الصَّحراويَّة والطَّابع العمراني اللَّذَيْنِ أسفرا عن عادات و تقاليد متشابهة[2]؛ وبمرور الوقت تزايدت هجرات العرب غير العسكريين، مِمَّا شكَّل طبقة من العرب البلديين لاستقرارهم بإِفْرِيقِيَّة واعتبارها موطنا لهم، فتزايد عددهم بصورة مستمرة ما نتج عنه طبقة من كبار الفقهاء والعلماء، أمثال:" البهلول بن راشد" و"عبد الرَّحمان بن حبيب الفهري" و"أسد ابن الفرات" و"الحبيب بن سعيد سحنون"[3].

وقد أدى هذا الخليط السُّكَّاني إلى ظهور مجموعة طبقات داخل المجتمع بولاية "إِفْرِيقِيَّة"؛ فما الطَّبقات المشكِّلة له؟

2 – 2 – الطَّبقات بمجتمع ولاية إِفرِيقيَّة:

2 – 2 – 1 – الطَّبقة الخاصة (الحكَّام): وهم كبار الدَّولة من حرس وقادة للجيش.

2 – 2 – 2 – طبقة التُّجار: برز دورها الفَعَّال بالمجتمع، من خلال تنشيطها لحركة التِّجارة عن طريق التَّبادل التِّجاري والذي تجاوز النِّطاق الإقليمي، ما نتج عنه علاقات مع "صقلِّيَّة" و"الأندلس" و"مصر"، ووفود جاليات منها لولاية "إِفْرِيقِيَّة".

2 – 2 – 3 – طبقة العلماء: أبرزهم الفقهاء، الذين كان لهم مكانة خاصة في حياة العامة، وكذا تأثيرهم القويُّ على الوضع السِّياسي، من خلال التَّدخل لحلِّ المشاكل وتوجيه المجتمع.

---

[1]– الرَّقيق القيرواني: المصدر السَّابق، ص.19.

[2]– مُحمَّد مُحمَّد زيتون المرجع السَّابق، ص.168–169.

[3]– الرَّقيق القيرواني: المصدر السَّابق، ص.20.

2 – 2 – 4– الطَّبقة الشَّعبيَّة: تتكوَّن من الجند النِّظاميين والمتطوِّعين، وأصحاب الحرف اليدويَّة، والفلاحين، والعبيد[1].

امتاز الوضع في المجتمع بالعدل في المعاملات، واحترام المصلحة العامة، من خلال مقاومة الغشِّ والخداع والمضايقة في الطُّرقات والرِّفق بالحيوان؛ كما برزت مكانة المرأة في رفع مَعنوِيَّات الرِّجال أثناء الحروب وتشجيعهم، وكذا دورها في البيت بغزل الصُّوف وحياكة لباس أفراد الأسرة، كما تمتَّعت بالحرية في شؤون الزَّواج[2].

3)– ثقافياً: تعتبر "القيروان" من أقدم المدن الإسلاميَّة وأوَّلها ببلاد "المغرب"، فبهذا مثَّلت بداية تاريخ الحضارة الإسلاميَّة للمنطقة من خلال الدَّور الذي أَدَّته في الجهاد والدَّعوة، وذلك باعتبارها مركزاً للجيوش الفاتحة السَّاعية للفتح والتَّوسُّع من جهة، ومركزاً للفقهاء الذين سعوا في نشر الإسلام وتعليم اللُّغة العربيَّة من جهة أخرى[3].

لقد كان لنموِّ الوعي الدِّيني الذي أسهم فيه الخليفة "عمر بن عبد العزيز"، من خلال التَّابعين الذين أرسلهم إلى "إِفْرِيقِيَّة"، قد أَدَّى إلى أنْ تصبح "القيروان" مركزاً سياسياً وتعليمياً يَضمُّ علماء من مختلف بقاع الأرض، مما دفع طلبة العلم خاصة من "المغرب الأقصى" و"الأندلس" إلى الاستقرار بها بدلاً من الارتحال للمشرق، لأخذ العلم من معلميها[4]؛حيث ظلَّت "القيروان" في الفترة الممتدة من الفتح إلى غاية دخول الأعراب لها منارة علميَّة ببلاد "المغرب"، ونُسبَ إليها أكابر العلماء، كما كانت واجهة علميَّة لطلبة العلم الرَّحَّالة، كما شهدت حركة واسعة في التَّأليف عن أخبار "القيروان" وذكر علمائها ومن كان بها من زُهَّادِ وصالحين[5].

---

[1]– مُحمَّد مُحمَّد زيتون المرجع السَّابق، ص.170.

[2]– نفسه، ص.174.

[3]– أبو عبيد الله البكري: المصدر السَّابق، ص.99.

[4]– فاطمة عبد القادر رضوان: **مدينة القيروان في عهد الأغالبة (184– 296هـ)**،أطروحة لنيل شهادة الدُّكتوراه **(غ.م)**، تخ: التَّاريخ الإسلامي قسم الدِّراسات العليا التَّاريخيَّة والحضاريَّة، جامعة أمُّ القرى، مكَّة المكرَّمة، 1991م، ص.102.

[5]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السَّابق، ص.356.

قال "أبو القاسم ابن حوقل" عن بلدة "القيروان" عند زيارته لها في منتصف القرن الرَّابع الهجري، بأنَّها: «أعظم مدائن المغرب، وأعظمها تجَّاراً وأكثرها أموالاً، وأحسنها منازل وأسواقاً، وبها ديوان جميع المغرب، وإليها تُجبى أموالها وفيها دار سلطانها»[1].

لقد عُرفت "إفْرِيقِيَّة" بكثرة الفقهاء والمحدِّثين، وبالتَّالي كثرة المساجد والكتاتيب، فكانت بها حركة علميَّة نشطة لقدوم الطَّلبة من "تاهرت"، و"فاس"، و"تلمسان"[2]، لتعلم تعاليم الدِّين الإسلامي؛ وأبرز هذه المساجد جامع الزَّيتونة الذي بناه من اشتهر بتاجر الله وهو "إسماعيل بن عبيد الله"[3].

وظلَّت "القيروان" عاصمة الإسلام بـ"إفْرِيقِيَّة" و"الأندلس" حوالي أربعة قرون، مُخلِّفَةً إرثاً عريقاً وتاريخاً زاهراً بمعالمه الخالدة بذاكرة التَّاريخ العربي الإسلامي ببلاد "المغرب"[4].

وخلاصة القول: أنَّ الواقع السِّياسي طيلة فترة حكم الدُّول المذكورة أنفاً، والذي شهد عدَّة اضطرابات وثورات، وحالة القمع المستشريَّة من طرف حُكَّم تلك الدُّول ضدَّ سكَّان "إفْرِيقِيَّة" و"القيروان"، التي كانت تعجُّ بحياة علميَّة مزدهرة، والتي لبَّدتها غيوم السِّياسة والأطماع، قد انعكس سلباً على الواقع المعاش، ممَّا أدى بالسَّاكنة إلى البحث على حياة أكثر راحة واطمئنان، فسلكوا الزُّهد.

فما هو واقع العلماء الزُّهاد والنُّسَّاك بهذا المِصر؟

---

[1]– أحمد فكري: **مساجد الإسلام(1) مسجد القيروان، ط.1**، مطبعة المعارف، القاهرة، 1926م، ص.11 – 12.

[2]– أبو القاسم مُحمَّد كرو: المرجع السَّابق، ص.32.

[3]– الرَّقيق القيرواني: المصدر السَّابق، ص.24.

[4]– أبو عبيد الله البكري: المصدر السَّابق، ص.99.

الفصل الثَّاني

التَّعريف بالمؤَلِّف والكتاب

- **المبحث الأوَّل: حياة أبو بكر عبد الله المالكي.**

- **المبحث الثَّاني: تقديم كتاب (رياض النُّفوس).**

تزخر الحركة الزُّهديَّة بـ"إفريقيَّة" و"القيروان" بالعديد من الأعلام الذين كُتبت أسماءهم بماء الذَّهب، وتركوا لنا أثراً يمكننا أنْ نجعل منه مناهج تربويَّة لتزكية النَّفس، وترقية الأفراد، ولحمة الجماعات؛ ومن الَّذين كتبوا ورصدوا هذه الحركة وأعلامها، نجد "أبوبكر عبد الله المالكي"، فمن هو هذا العلم؟

المبحث الأوَّل: حياة أبو بكر عبد الله المالكي:

1)- اسمه ومولده: هو الإمام الفقيه العالم المؤرخ أبو بكر عبد الله المالكي، وُلد بالعقد الأوَّل من القرن الخامس هجري، ودرس بـ"صقليَّة" وأقام بها فترة من الزَّمن[1]؛ صَحِبَ "أبا بكر بن عبد الرَّحمان وانتفع به، وحكي أنَّه في سنة 446هـ/1055م وقع خراب جامع "القيروان" وبقي بها بعد الخراب جماعة، منهم: صاحب التَّرجمة. والده "أبو عبد الله مُحمَّد بن عبد الله المالكي القيرواني" الفقيه الإمام العالم الفاضل أخذ عن "أبي الحسن القابسي"، ولزمه ورحل لـ"مكَّة" ولقي "أبا ذرٍّ الهروي"، وأخذ عنه "البخاري"، وألَّفَ في مناقبه؛ توفِيَّ"**أبو بكر عبد الله المالكي**" سنة 474هـ/1082م[2].

فهو وأبوه من قبله، من كبار روَّاة العلم والتَّاريخ بإفريقيَّة[3]،وهو من أهل "القيروان"[4].

2)- تعليمه وشيوخه:

أخذ الشَّيخ "أبو بكر عبد الله المالكي" تعليمه بمدينته "القيروان"، على يدي العديد من علمائها، منهم:

2 – 1 – أبو عبد الله محمد بن العباس الأنصاري الخواص: سمع من "أبي مُحمَّد بن زيد" و"أبي الحسن القابسي" وغيرهما؛ اشتهر بالعلم والعبادة والفضل والزَّهادة؛ سمع عليه علمـــــــــاء كثر، منهم: "عبد الله بن أبي مُحمَّد بن أبي زيد"، وتوفي بعد عام ستة

---

[1]- أبو بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي: **رياض النُّفوس**، تح: بشير البكوش، مر: مُحمَّد العروسي المطوي،**ج.1،ط.1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص.20.

[2]- مُحمَّد بن مُحمَّد بن عمر بن مخلوف: **شجرة النُّور الزَّكيَّة في طبقات المالكيَّة**، تع: عبد المجيد خيالي، **ج.1، ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2003م، ص.161.

[3]- حسن حسني عبدالوهاب: **الامام المازري، ط.1**، دار الكتب الشَّرقيَّة، تونس، 1955م، ص.79. (في الهامش).

[4]- عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين، ج.2، ط.1**، مؤسَّسة الرِّسالة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 1993م، ص.285.(الترجمة.8294).

وعشرين وأربعمائة(426هـ/1035م) رحمه الله تعالى[1].

2 – 2 – أبو بكر أحمد بن عبد الرَّحمان بن عبد الله الخولاني:

شيخ المالكيَّة بالقيروان، كان حافظاً للمذهب المالكي، أديباً نحويّاً، تفقَّه على يدي ابن أبي زيد القيرواني[2]، ومن تلاميذه؛ حاز الذِّكر ورياسة الدِّين بِـ"القيروان" في وقته مع أبي "عمران القابسي"، وتخرَّج على يده ما يزيد عن مائة وعشرين عالماً، كلَّهم مقتدى بهم في المذهب[3]؛ وقد سمع "أبا بكر النَّعال" عن القاضي عياض قوله:«من أهل القيروان وشيخ فقهائها في وقته»؛ ألَّف تلميذه "أبو عبد الله مُحمَّد بن سعدون القروي" جزءاً في مناقبه وأصحابه[4]، منهم: "أبو القاسم بن محرز"، و"أبوحفص العطار"، و"عبد الواحد الكفيف"، و"أبو أسحاق التُّونسي"، و"أبو بكر عبدالله بن مُحمَّد المالكي"[5]. كان يصوم رمضان بالمنستير، وكانت له مناقب جمَّة؛ توفي سنة 432هـ/1040م[6].

2 – 3 – أبو عبدالله الحسين بن عبدالله عبد الرحمان الأجذابي المؤرِّخ:

كان واحد زمانه علماً وفضلاً، وكان ثقة ثبتاً، يروى عن "أبي بكر بن أبي عقبة" عن "جبلة بن حمود" وعن "أبي الحسن القابسي"، و"أبي العبَّاس بن أبي العرب"، وعنه أخذ "أبو بكر بن مُحمَّد المالكي" و غيره؛ توفي يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة اثنين و ثلاثين و اربعمائة432هـ/1040م ودفن بباب سلم[7]، ومن تلاميذه الفقيه "أبو مُحمَّد عبد الحقِّ بن مُحمَّد بن هارون التَّميمي القرشي"[8].

---

[1]– عبد الرَّحمن بن مُحمَّد الأنصاري الأسيدي الدَّبَّاغ: **مَعالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح و تع مُحمَّد ماضور، **ج.3، ط.1**، المكتبة العتيقة، تونس، 1968م، ص.169.

[2]– جلال الدِّين السُّيوطي: **بُغيْة الوعَّاة في طبقات اللُّغويِّين والنُّحَّاة**، تح : مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم ،**ج.1، ط.2**، دار الفكر، بيروت، 1979م، ص.324.

[3]– حسن حسني عبدالوهاب: **الامام المازري**، المرجع السَّابق، ص.33 .

[4]– القاضي عيِّاض: **جمهرة تراجم الفقهاء المالكيَّة**، تح: قاسم علي سعد، **ج.1، ط.1**، دار البحوث للدِّراسات الإسلاميَّة وإحياء التُّراث، دبي، 2002م، ص.216.

[5]– الدَّبَّاغ: المصدر السَّابق، **ج.3**،ص.166.

[6]– مُحمَّد بن مُحمَّد بن عمر بن مخلوف: المرجع السَّابق، **ج.1**، ص.159

[7]– الدَّبَّاغ: المصدر السَّابق، **ج.3**،ص.170.

[8]– إحسان عباس: **معجم العلماء والشُّعراء الصِّقليِّين، ط.1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص.49.

3)- تلاميذه: تتلمذ على يده الكثير، نذكر منهم:

3 – 1 – الحافظ أبو عبدالله مُحمَّد بن علي بن عمر بن مُحمَّد التَّميمي(المازري):

"المازري"[1]، من كبَّار أئمة زمانه، ذو فنون جمَّة، وهو من أئمة المالكيَّة[2]، وُلد سنة 453هـ/1061م، له تصانيف عديدة منها: "المعلِّم بفوائد كتاب مسلم"، وعليه بنى "القاضي عياض" كتاب "الإكمال" و"إيضاح المحصول في الأصول"[3]، وله كتب متعدِّدة في الأدب، وكان فاضلا متقناً[4]؛ وتوفيَّ "أبو عبد الله مُحمَّد بن علي المازري المهدوي" سنة ستَّ وثلاثين وخمسمائة(ربيع الأوَّل536هـ/1141م)، وسنُّه يقرب من تسعين سنة[5].

3 – 2 – أبو البهاء عبد الكريم بن عبدالله بن مُحمَّد المقرئ الصِّقلِّي:

هو عبد الكريم بن عبدالله بن مُحمَّد بن علي بن عبد الكريم المقرئ الواعظ، من أهل القراءات والحديث، وُلد سنة أربعين وأربعمائة(440هـ/1049م) بمدينة صقلِّيَّة. وله سلسلة في الحديث، حدثني أبو البهاء من حفظة" الاسكندريَّة"، أنَّ أبو "مُحمَّد عبد الحقِّ بن مُحمَّد بن هارون السَّهمي" بصقلِّيَّة، و"أبو بكر عبد الله بن مُحمَّد بن عبدالله المالكي" بإفريقيَّة، قالاَ: «ثنا أبو عبدالله الحسين بن عبدالله الأجدابي بالقيروان، ثنا "أبو بكر هبة الله بن أبي عقبة التَّميمي، ثنا "جبلة بن حمود الصَّدفي، ثنا "سحنون بن سعيد التَّنُّوخي"، عن "عبد الرَّحمن بن القاسم العتعي" عن "مالك بن أنس الأصبحي" عن "نافع" عن "عبدالله بن عمر" أن رسول اللهﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنَّما وتر أهله وماله». و

---

[1]- نسبة إلى "مازر"، وهي بلدة بصقليَّة. **ينظر**، اسماعيل باشا البغدادي: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين هدية العارفين، مج.2، ط.3**، مؤسَّسة التَّاريخ العربي، بيروت، 1967م، ص.88.

[2]- عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي: **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب، ج.4، ط.2**، دار المسيرة، بيروت، 1979م، ص.114 .

[3]- أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب (ابن قنفد القسنطيني): **كتاب الوفَيات**، تح: عادل نويهض، **ط.4**، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص.277 – 278 .

[4]- عبدالله اسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي:**مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث حوادث الزَّمان**، تح: خليل منصور، **ج.3، ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1997م، ص.204 .

[5]- ابن قنفد القسنطيني: المصدر السَّابق، ص.277.

توفي "أبو البهاء" في شعبان سنة سبع عشرة و خمسمائة(517هـ/1123م) بالإسكندريَّة[1].

[1]– أحمد بن مُحمَّد السَّلفي: **معجم السَّفر**، تح: عبد الله عمر البارودي،**ط.1**، دار الفكر، بيروت، 1993م، ص.190.

4)- مؤلفاته:

لـِ"أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي"، كتاب حول "عبَّاد أهل إفريقيَّة"[1]، الذي وسمه بعنوان "رياض النُّفوس"، المشهور بكتاب "المالكي" في طبقات علماء إفريقيَّة و زهَادها[2]، حيث تضمَّن طبقات "علماء القيروان وإفريقيَّة" وما يليها من بلدانها ومراسيها وسواحلها، وعبَّادهم ونسَّاكهم وفُضلائهم وتاريخهم، في مجلدين[3]،منه نسخة كاملة بمكتبة الشَّعب بالعاصمة الفرنسيَّة "باريس"، واختصاره في "دار الكتب المصريَّة" و"بمكتبة شيخ الإسلام عارف افندي" بـ"المدينة المنوَّرة"؛ وقد طبع منه الجزء الأوَّل بعناية الأستاذ "حسين مؤنس" في مصر سنة 1951م[4].

5)- وفاته:

يقول "أبو البهاء عبد الكريم بن عبد الله المقرئ الصِّقلِّي": والذي صرَّح بأنَّ "المالكي" توفي بعد سنة 460هـ/1068م؛ كما نجد بأنَّ المؤلِّف قد صرَّح بخصوص غزو صقلِّيَّة من طرف "النُّورمان" فقال: «ثمَّ شاء الله، بذنوب أهلها، أنْ أَوْقعَ بهم عدوَّهم، نسأل الله تعالى حلمه وأمانه وعافيته لمن بقي بها من المسلمين وارتداد الكرة لهم على عدوهم». وهذا يعني أنَّ "المالكي" حضر إلى زوال الحكم الإسلامي بتلك الرُّبوع سنة 484هـ/1091م[5]، أو بعد سقوط الجزء الأكبر منها سنة 464هـ/1072م[6].

---

[1]- مُحمَّد بن عبد الرَّحمان بن مُحمَّد شمس الدِّين السَّخاوي: **الإعلان بالتَّوبيخ لمن ذمَّ أهل التَّأْريخ**، تح: فرانز روزنثال، تر: صالح أحمد العلى، **ط.1**، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، 1986م، ص.191 .

[2]- مُحمَّد بن مُحمَّد بن عمر بن مخلوف: المرجع السَّابق، **ج.1**، ص.161.

[3]- عمر رضا كحالة: المرجع السَّابق، **ج.2**، ص.285.

[4]- حسن حسني عبدالوهاب: المرجع السَّابق، ص.79.

[5]- أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي: المصدر السَّابق، **ج.1**، ص.7.(من تصدير الكتاب) و ص.21.(من تقديم الكتاب)

[6]- أحمد عزيز: **تاريخ صقلِّيَّة الإسلاميَّة**، تر: أمين توفيق الطِّيبي، **ط.1**، الدَّار العربيَّة للكتاب، تونس، 1980م، ص.61 – 62.

المبحث الثَّاني: تقديم كتاب (رياض النُّفوس):

كتاب "رياض النَّفوس"، هو أحد مصادر تاريخ الغرب الإسلامي، التي أرَّخت لأعلامه من العلماء والفقهاء والزُّهاد من طبقة الصَّحابة والتَّابعين وتابعي التَّابعين، فماهي أسس ومقوِّمات هذا المؤَلَّف؟

1)- اسم الكتاب:

تداول عنوان كتاب "المالكي" في المصادر التَّاريخيَّة بصيغٍ مختلفة، لكنَّها متقاربة في المعنى، فهناك من ذكره كاملا، في حين نجد البعض اختصره كـ"القاضي عيِّاض" لقوله: «قال "المالكي" في كتابه "رياض النُّفوس "أنَّ مولده بالأندلس عند ترجمة الفقيه أبو "مُحمَّد عبد الله بن فرُّوخ الفارسي"»؛ أمَّا "الذَّهبي" فقد سمَّاه تاريخ "أبي بكر عبد الله مُحمَّد المالكي"، و "ابن العديم" أورده بصيغة أخرى، فقال: «"رياض النُّفوس في طبقات عُبَّاد إفريقيَّة»؛ في حين ذُكر باسم "رياض النُّفوس في تاريخ القيروان" عند "الحنفي" وعند "أبو الفداء" "رياض النُّفوس في علماء إفريقيَّة"[1].

2)- نسبة الكتاب لمؤلِّفه:

الرَّاجح أنَّ أغلب المصادر أجمعت على أنَّ تسميته الكاملة، هي: "رياض النُّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيَّة وزُهَّادهم ونسَّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم و أوصافهم"، كما أجمعت على نسبته لـِ"أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي"؛ ويتَّضح ذلك من خلال تدخُّل المؤلِّف في بعض صفحات كتابه، ونسبة القول لاسمه، فنجد في الصَّفحة (43)،قال: «مؤلِّف الكتاب "أبو بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي»، وفي الصَّفحة (151)، قال: «عبد الله»، وكما اتضح ذلك في أواخر "الجزء الأوَّل" وبقيَّة "الجزء الثَّاني"، لكن بطريقة مختصرة من خلال الرَّمز لاسمه بحرف (ع)[2].

3)- دواعي تأليف الكتاب:

أُلِّف كتاب "رياض النُّفوس" بطلب مجموعة من العبَّاد لقول "المالكي" في مقدِّمة كتابه:

---

[1]- لطيف خلف مُحمَّد الدِّليمي: «منهج أبو بكر المالكي في كتابه رياض النُّفوس»، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانيَّة، مج.19،ع.2**، جامعة الأنبار، العراق، جوان/2022م، ص.937.

[2]- أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي: المصدر السَّابق، ص.22.

«...فقد شهدتكم سألتموني أنْ أجمع كتاباً أذكر فيه من كان بالقيروان وإفريقيَّة من العلماء والمتفقِّهين والأولياء والعبَّاد والمجتهدين، ومن كان بمراسي إفريقيَّة... الله ربي استهديته واستعنته، وذكرت ما بلغني من أخبار نُسَّاكهم وعبَّادهم...»[1].

4)- تاريخ تأليف الكتاب:

أُلِّف الكتاب بعد تاريخ احتلال "النُّورمان" لجزيرة "صقلِّيَّة" سنة 464هـ/1072م[2].

5)- التَّعريف بالكتاب:

اعتمدنا في دراستنا هذه، حول كتاب "رياض النُّفوس" عن النُّسخة المحقَّقة من طرف "بشير البكوش" ومراجعة "مُحمَّد العروسي المطوي" في جزئيها الأوَّل والثَّاني.

النَّاشر: دار الغرب الإسلامي.

الطَّبعة: الثَّانية(2).

بلد الطَّبع: بيروت (لبنان).

سنة النَّشر: 1414هـ/1994م.

عدد الصَّفحات: الجزء الأوَّل 600 صفحة /الجزء الثَّاني 620 صفحة.

6)- مصادر الكتاب: له العديد من المصادر، هي:

6 – 1 – مصادر تاريخيَّة وحديثيَّة وفقهيَّة:

- ✓ تاريخ "سعيد بن عفير" المؤرخ المصري (ت.266هـ/880م).
- ✓ تاريخ "خليفة بن خياط"، ويعرف بشباب العصفري (ت.240هـ/855م).
- ✓ كتاب "الطبقات" لـِ"مُحمَّد بن سحنون"(ت.256هـ/870م).
- ✓ تاريخ "أبي سعيد عبد الرَّحمان بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصَّدفي"(ت. 347هـ/958م).
- ✓ موطأ مالك[ت 179هـ].

[1]- لطيف خلف مُحمَّد الدِّليمي: المرجع السَّابق، ص.938.

[2]- أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي: المصدر السَّابق، ص.23.

- ✓ موطأ "ابن وهب".
- ✓ الجامع الصَّحيح للبخاري.
- ✓ الجامع الصَّحيح لمسلم[1].
- ✓ سنن أبي داود.
- ✓ سنن أبي عبد الرَّحمان النَّسائي.
- ✓ مسند أبي عبد الله "مُحمَّد بن سنجر الجرجاني".
- ✓ كتاب "الجزية"لِـ"ابن الجهم".
- ✓ "مدوَّنة""سحنون بن سعيد".
- ✓ "فوائد""أبي العلاء الكوفي".
- ✓ "مجالس""سليمان بن سالم".
- ✓ "الملخص"لِـ"أبي الحسن القابسي"[2].

6 – 2 – مصادر استخدمها المؤلِّف ولم ينصّ على أسمائها بذكر مؤلِّفها:

- ✓ الواقدي "مُحمَّد بن عمر".
- ✓ ابن قتيبة "أبو مُحمَّد عبد الله بن مسلم".
- ✓ "أبو اسحاق بن شعبان القرطي".
- ✓ "مُحمَّد بن حارث الخشني".
- ✓ "أبو القاسم الجوهري".
- ✓ "أبو الحسن بن فهر".
- ✓ "حمزة بن مُحمَّد الكناني".
- ✓ "أبو القاسم عبد الرَّحمان بن مُحمَّد الصِّقلِّي"[3].
- ✓ "أبو بكر عتيق بن خلق التِّجيبي".
- ✓ "أبو عبد الله الحسين بن أبي العباس الأجدابي".
- ✓ "أبو القاسم عبد الرَّحمان بن مُحمَّد اللبيدي".

---

[1]– أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي: المصدر السَّابق، ص.23.

[2]– المصدر نفسه، ص.24.

[3] – خير الدِّين الزِّرِكْلِي: **الأعلام، ج.3، ط.15**، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ص.325.

- ✓ "ربيع القطَّان"[1].
- ✓ "أبو الحسن علي بن عبد الله القطَّان المعروف بـِ"ابن الخلَّاف".
- ✓ "أبو العرب مُحمَّد بن أحمد بن تميم".
- ✓ "أبو مُحمَّد سعيد بن حكمون".

6 – 3 – مصادر شفويَّة استقاها المؤلف من شيوخه ومعاصريه:

- ✓ "أبو بكر أحمد بن عبد الرَّحمان الخولاني".
- ✓ "أبو مُحمَّد الحسن بن أبي العباس الأجدابي".
- ✓ "أبو الحسن علي بن أبي العباس الأجدابي".
- ✓ "أبو مُحمَّد بن الكراني الباجي" الفقيه.

6 – 4 – مصادر لم يذكرها المؤَلِّف:

- ✓ "نسب قريش"لـِ"مصعب الزُّبيري"[2].
- ✓ "تاريخ إفريقيَّة والمغرب"لـِ"الرَّقيق القيرواني"[3].

7)– مخطوطات الكتاب:

لكتاب "رياض النُّفوس" مخطوطتان، الأولى: كاملة، محفوظة بالمكتبة الوطنيَّة في "باريس"[أنظر الملحق رقم.(2)، ورقم.(3)، ورقم.(4)] وتنقسم لجزأين. أمَّا الثَّانية: محفوظة في "دار الكتب" بـِ"مصر"[أنظر الملحق رقم.(5)، ورقم.(6)، ورقم.(7)]،وتشمل الجزء الثَّاني فقط[4]. وهناك نسخة مختصرة له موجودة بالمتحف البريطاني[أنظر الملحق رقم.(8)، ورقم.(9)]، وهي نسخ لم تضيف شيئاً لمن حققوا الكتاب[5].

---

[1]– أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي: المصدر السَّابق، ص.24.

[2]– عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزُّبيري: **كتاب نسب قريش**، تح: ليفي بروفنسال، **ط.3**، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

[3]– الرَّقيق القيرواني: **تاريخ إفريقيَّة والمغرب**، تح: مُحمَّد زينهم مُحمَّد عزب، **ط.1**، دار الفرجاني للنشر والتَّوزيع، القاهرة، 1994م.

[4]– أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي: المصدر السَّابق، ص.29.

[5]– المصدر نفسه، ص.31 – 32.

8)- محتوى الكتاب:

بدأ "المالكي" حديثه في فضل مدينتي "إفريقيَّة" و"المنستير"، واستهلَّ ذلك بحديث الصَّحابي الجليل "سعد بن أبي وقاص"، فقال: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحقِّ حتى تقوم السَّاعة»[1]؛ ثمَّ وضَّح فضل مدينة "القيروان" في بناء المسجد وسبب فتح "إفريقيَّة"، ومن تعاقب عن ولايتها من "معاوية بن حديج" إلى غاية "عقبة بن نافع"، ثمَّ ذكر من كان بـِ"إفريقيَّة" من أصحاب الرَّسول صلى الله عليه وسلم، ومن تبعهم من زُهَّاد وعلماء وعبَّاد؛ حيث قال: «عددهم تسعة وعشرون صحابيًّا»[2].

أمَّا العلماء فقد قسَّمهم لخمس طبقات. أولها: العشر التَّابعين الذين بعثهم أمير المؤمنين "عمر بن عبد العزيز" لإفريقيَّة لتعليم أهلها الدين وأصوله[3] فدخلوا "إفريقيَّة" واستوطنوا بـِ"القيروان"؛ كما ذكر ضمن هذه الطَّبقة ستة عشر تابعيًّا استوطنوا "إفريقيَّة "ومدنها وحصونها ومراسيها، ثم ذكر العشرة الذين دخلوا افريقية وعادوا لبلدهم[4].

أمَّا الطَّبقة الثَّانية، فقد ذكر فيها من كانوا من المُحدِّثين[5] والعبَّاد بمدنية "القيروان" ونُسَّاكهم، وعددهم ثلاثة عشر[6].

و في الطَّبقة الثَّالثة، ذكر ثمانية وعشرون ترجمة، لفقهاء ومحدثي مدينة "القيروان"؛ مع ذكره لتفاصيل أخرى حول من لم يلق "مالك"، وحول العبَّاد والنُّساك[7]. أمَّا الطَّبقة الرَّابعة فقد ضمَّنها اثنتا عشرة ترجمة، لفقهاء ومحدثي مدينة "القيروان" و"إفريقيَّة، وتسعة عبَّاد[8].

---

[1]- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**، تح: مُحمَّد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، رقم الحديث.**1925**، **ج.3**، **ط.1**، دار الحديث للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة،1991م، ص.1525.

[2]- أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي: المصدر السَّابق، ص.60 – 98.

[3]- ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج. س. كولان و ليفي بروفنسال، **ج.1**، **ط.3**، دار الثَّقافة، بيروت، 1983م، ص.48.

[4]- أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي: المصدر السَّابق، ص.141 – 151.

[5]- المصدر نفسه، ص.152 – 192.

[6]- نفسه، ص.193 – 200.

[7]- نفسه، ص.200 – 344.

[8]- نفسه، ص.345 – 441.

وعن الطَّبقة الخامسة، فقد ذكر فيها ثمانية عشرة ترجمة، لعلماء وعبَّاد مدينة "القيروان" وما جاورها من مدن ومراسي. وقد حوى الجزء الأول من الكتاب 164ترجمة.

أمَّا بالنِّسبة للجزء الثَّاني من كتاب "رياض النَّفوس"، فقد ضمَّ 106ترجمة للفقهاء والعبَّاد والنُّسَّاك، وبذلك يكون مجموع تراجم "المالكي" في كتابه هذا 270ترجمة؛ لكن أسلوبه أختلف في هذا الجزء – أيْ الثَّاني – حيث أنَّه اعتمد أسلوب الحوليَّات، أيْ ذكرِ الشَّخصيَّات التي تَوُفِيَّت في السَّنة الواحدة، فبدأ من سنة 293هـ/906م وانتهى سنة 356هـ/967م[1].

[1]– **للاستزادة ينظر**، أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد المالكي: **رياض النُّفوس**، تح: بشير البكوش، مر: مُحمَّد العروسي المطوي، **ج.2**، **ط.1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص.5 – 508.

الفصل الثَّالث

الحركة الزُّهديَّة

وارهاصات ظهورها بإفريقيَّة

- **المبحث الأوَّل: مفهوم الحركة الزُّهديَّة وظهورها بإفريقيَّة.**

- **المبحث الثَّاني: نماذج لأهم زهَّاد إفريقيَّة من خلال كتاب المالكي وأثرهم في حياة العامة.**

بوصول حركة الفتح الإسلامي إلى أرض إفريقيَّة، وتثبيت المنهج الإسلامي بواسطة البعثة العمريَّة، علماً وسلوكاً؛ نشأت حركة دينيَّة عميقة تخاطب الأرواح وترقى بالإنسان، من خال العيش في الدُّنيا والإعراض عن زخرفها، باحثة عن الحياة الدَّائمة والخالدة في رحاب الله من خلال الزُّهد. فما هذه الحركة؟

المبحث الأوَّل: مفهوم الحركة الزُّهديَّة وظهورها بإفريقيَّة:

حتى نضع مفهوماً يلامس معاني الحركة الزُّهديَّة لابدَّ لنا من تعريف الزَّهد.

أوَّلاً: تعريف الزُّهد:

1- لغة: الزُّهد في اللُّغة تركُ الميل إلى الشَّيءِ[1].

وزَهِدَ الشيءُ، زُهداً: أعرض عنهُ وتركه، لإحتقاره ورغب عنه؛ ويقال" زَهِدَ في الدُّنيا أيْ تركَ حلالها مَخافة حسابهِ، وتركَ حرامهَا مخافة عقابه؛ والزَّاهدُ: هو العابد، والرِّضا باليسير مما يَتعيَّن حله، وترك الزَّائد على ذلك لله تعالى[2].

ولا يقال الزُّهدُ إلَّا في الدِّين خاصة، والزُّهد ضدَّ الرَّغبة والحرص على الدُّنيا، وسُئل عن الزُّهد في الدُّنيا، فقيل: «هو ألاَّ يغلب الحلال شكره، ولا الحرام صبره»، وفلان يتزهَّدُ أيْ يتعبَّدُ، وفي حديث الرَّسول صلى الله عليه وسلمٍ «أفضلُ النَّاسِ مُؤمنٌ مُزْهِدٍ»[3]. والمزهد: قليل الشَّيء، وإنَّما سمِّيَ مُزْهِداً لأنَّ ما عنده من قِلَّته يَزهد فيه[4].

2- اصطلاحا: هو إسقاط الرَّغبة عن الشَّيْءِ بالكلِّيَّة، وهو للعامة قُربة وللمريد ضرورةٌ، وللخاصة خِسة[5]؛ والزَّاهد حقّا لا يذمُّ الدُّنيا ولا يمدحها، ولا يفرح بها إذَا أقبلت، ولا يحزن

---

[1]- علي بن مُحمَّد بن علي الزَّين الشَّريف الجرجاني: **كتاب التَّعريفات**، تح: مجموعة من العلماء **ط.2**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1985م, ص.120.

[2]- وكيع بن الجرَّاح: **كتاب الزُّهد**، تح: عبد الرَّحمان عبد الجبَّار الفريوائي،**ج.1،ط.1**، مكتبة الدَّار، المدينة المنوَّرة، 1984م، ص.123.

[3] - عبد الرَّؤف المناوي: **فيض القدير شرح الجامع الصَّغير، ج.2، ط.2**، دار المعرفة للطباعة والنَّشر، بيروت، 1972م، ص.50.

[4]- ابن منظور: **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير وأخرون،**مج.3،ج.24**، دار المعارف، القاهرة، 1979م، ص.1876.

[5]- عبد الله الأنصاري الهروي: **منازل السَّائرين، ط.1**، دار الكتب العلميَّة, بيروت,1988م، ص.30.

عليها إذا أدبرت[1]، وليس من ترك المال وبذله على سبيل السَّخاء والقوَّة، واستمالة القلوب؛ إنَّما الزُّاهد من يحتقر الدُّنيا ابتغاء الآخرة ورغبة في الجنَّة ونعيمها؛ ويعتبر الزُّهد مقام شريفٌ من مقامات السَّالكين[2]، وبداية سلوك الصُّوفيَّة، وهنا يكمن الاختلاف بينهما؛ **فالزُّهد** زيادة كمِّيَّة، بينما **التَّصوُّف** زيادة كيفيَّة، أيْ إضافات نوعيَّة للعبادة، ويشتركان في كلٍّ منهما: زيادة على العبادة المشروعة[3].

وبمقدار العلم بالتَّفاوت بين الدُّنيا والآخرة يزداد الزُّهد، والعلم المورث لهذه الحال هو اليقين بقوله عزَّوجلَّ[4]﴿**بَل تُؤْثِرُون الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةُ خَيْر وَ أبْقَى**﴾[5].

وللزهد ثلاث درجات، هي:

الدَّرجة الأولى: هي أنْ يزهدَ العبدُ في الدُّنيا وقلبه لها مائل بمجاهدة نفسه ويعرف بالمُتزَهِد.

الدَّرجة الثَّانية: منْ يزهد ويعتقد أنَّه تركَ أمراً لما هو أعظم منه.

الدَّرجة الثَّالثة: وهنا الزَّاهد يكون على يقين بأنَّ الدُّنيا لا شيء مقابل الآخرة، فزهده لها طوعاً، ما يعرف بكمال الزُّهد وأعلاه درجة[6].

ويقسَّم الزُّهد بحسب المرجو منه إلى ثلاثة درجات، هي:

- زهد الخائفين: للنَّجاة من العذاب والحساب.
- زهد الرَّاجين: لأخذ الثَّواب والنَّعيم الموعود به.

---

[1]- الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي: **الزَّهد الكبير**، تح: عامر أحمد حيدر، **ط.1**، دار الجنان، بيروت، 1987م، ص.63.

[2]- أحمد بن مُحمَّد بن عبد الرَّحمان بن قدامة المقدسي: **مختصر منهاج القاصدين**، تح: سعد العارف، **ط.2**، دار إحياء العلوم، بيروت، 1997م، ص.382.

[3]- مُحمَّد بركات البيلي: **الزُّهاد والمتصوِّفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري**، دار النَّهضة العربيَّة، القاهرة، 1995م، ص.5.

[4]- عبد الله بن المبار المروزي: **الزُّهد والرَّقائق**، تح وتع: أحمد فريد، **مج.1، ط.1**، دار المعراج الدُّوليَّة، الرِّياض، 1995م، ص.11.

[5]- سورة الأعلى: الآية.16 و 17.

[6]- ابن قُدامة المقدسي: المصدر السَّابق، ص.383.

- زهد المحسنين والعارفين: وهي الدَّرجة العليا، ابتغاء لقاء الله عزَّوجلَّ والفوز بالجنَّة[1].

ويُمَيِّز الشَّيخ "إبراهيم ابن أدهم" بين ثلاثة أصناف من الزُّهد بقوله:

- زهد في الحرام[فرض].
- زهد في الحلال[فضل].
- زهد في الشُّبهات[سلامة][2].

ويعرِّف الشَّيخ "ابن تيمية" الزَّهد بقوله: «الزَّهد هو عما لا ينفع، إمَّا لانتفاء نفعه، أو لكونه مَرجوحا، لأنَّه مُفوِّتٌ لمَا هو أنفع منه، أو مُحصِّلٌ لما يربو ضرره على نفعه، وإمَّا المنافع الخالصة أو الرَّاجحة، فالزُّهد فيها حُمق»[3].

وجوهر الزُّهد أنْ يُخْلِص العبد عمله وقوله لله تعالى، ويظهر هذا من خلال صِفات يتحلَّى بها الزَّاهد، وهي:

- **القلَّة:** الاقتناع بالقليل والاقتصار بالزَّهيد من متاع الدُّنيا والرِّضا به.
- **الجوع:** لترويض النَّفس وكسر شهواتها واجتناب المَنهيَّات.
- **الخلوة:** وهي الاعتزال، فبها تُزكَّى النَّفس وتقوى الصِّلة بالله تعالى، من خلال توفير الوقت للعبادة، والابتعاد عن الخُلطة والمفاسد، من نميمة وغيبة، والتَّفرغِ للعبادة[4].

ويقول الشَّيخ "أبو سفيان الثَّوري": «الزُّهد هو قصر الأمل، وهو جامع لجميع الشَّهوات، فإنَّ من يميل للشَّهوات يحدِّث نفسه بالبقاء فيطول أمله، ومن قصر أمله فكأنَّه رغبَ عن الشَّهوات كلِّها»[5].

---

[1]– ابن قُدامة المقدسي: المصدر السَّابق، ص.384.

[2]– عبد الرَّحمان بدوي: **تاريخ التَّصوُّفِ الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثَّاني، ط.1**، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975م، ص.233.

[3]– وكيع بن الجرَّاح: المصدر السَّابق، ص.124.

[4]– يحيى بن معاذ الرَّازي: **جواهر التَّصوُّفِ**، تع: سعيد هارون عاشق**ط.1**، مكتبة الآداب، القاهرة، 2002م، ص.136-138.

[5] –صهيب دوشة: **التَّصوف والمجتمع في المغرب الأوسط من القرن 6هـ/10م**، مُذكِّرة مُكمِّلة لنيل شهادة الماستر(**غ.م**)، تخ: تاريخ الغرب في العصر الوسيط، قسم التَّاريخ، كلِّيَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة مُحمَّد =

أمَّا "الشِّبلي" فيقول: «الزُّهد خشيَّة؛ وحقيقة الزُّهد أنْ يزهد فيما سوى الله تعالى».

وقال الخُراسانيون[1]: «الزُّهد خلوُّ الأنفس والأيدي عن الدُّنيا، وخلو القلب مما خلت منه النَّفس واليد، وترك حظوظ النَّفس أجمع»[2].

ومن أبرز سمات الزُّهاد الأوائل، الانقطاع لله تعالى بالإقبال عليه بالعبادة والبكاء عند قراءة القرآن وسماع الموعظة، ما زادهم مَقامات عالية تدلُّ على عظيم زهدهم وخشيتهم من المولى عزَّوجلَّ واليوم الآخر[3].

ثانياً- ارهاصات الحركة الزُّهديّة بإفريقيَّة:

لم يتأخر ظهور الزُّهد في بلاد المغرب كثيراً عن نظيره في المشرق، حيث التجأ عددٌ من سكَّان المنطقة لهذا السُّلوك منذ البدايات الأولى للفتح الإسلامي، نتيجة لعوامل سياسيَّة واقتصاديَّة وثقافيَّة وأخرى دينيَّة، على غرار تأثُّر المغرب بحركات المشرق[4]؛ فمنذ دخول الفاتحين وإنشائهم المساجد والرِّباطات[أنظر الملحق رقم.(10)] والتي أدَّت دوراً عسكرياً في البداية تمثَّل في تجمع الجيوش بها للدِّفاع عن أراضيهم، وسميت بالثُّغور لكونها غالباً ما تكون بمحاذاة بلاد العدو أو بالسَّواحل؛ ومع تثبيت الإسلام واستقراره بالمنطقة أدَّت الرِّباطات دورها الدِّيني من خلال ربط الفقهاء والصَّالحين بها مُتفرِّغين للعبادة منعزلين عن حياة المدينة ومشاغل الحياة، ومن هنا تشكَّلت فئة من الزُّهاد ضُرب بهم المثل في الورع والتَّقشُّف[5]؛ كما عمل وفود عدد من الزُّهاد المشارقة لـِ"إفريقيَّة" وتركهم

= بوضياف – المسيلة، الجزائر، 2020م، ص.22.

[1] – **الخراسانيون:** بطن من العرب، عدهم الحمداني في عرب برية الحجاز، من أحلاف آل مرة من عرب الشام. **ينظر:** عمر كحالة: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**،ج.1، **(د.ط)**، المكتبة الهاشميَّة، دمشق، 1949م، ص.335.

[2]– مُحمَّد بن حسين بن موسى السَّلمي: **تسعة كتب في أصول التَّصوُّف والزُّهد**، تح: سليمان إبراهيم آتش، **ط.1**،الناشر للطباعة والنشر والتَّوزيع والإعلان،بيروت، 1993م، ص.397.

[3]– إبراهيم التُّهامي: **جهود علماء المغرب في الدِّفاع عن عقيدة أهل السُّنَّة، ط.1**، مؤسسة الرِّسالة ناشرون، بيروت، 2005م، ص.375.

[4]– مُحمَّد بركات البيلي: المرجع السَّابق، ص.53.

[5]– جمال علال البختي: **الحضور الصُّوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السَّابع الهجري، ط.1**، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة، القاهرة، 2005م، ص.44 – 45.

آثار طيِّبة في نفوس سكَّانها[1]، من خلال ممارستهم للزُّهد والتَّعايش به، ووصوله لدرجة علم قائم بذاته له علماؤه، ما أدى لاستمالة المغاربة وتبنيه.

ومن الزُّهاد المشارقة الأوائل الذين وفدوا لـِ"إفريقيَّة"، العشرة التَّابعين الذين أرسلهم الخليفة "عمر بن عبد العزيز" لنشر وتعليم الدِّين الإسلامي، ومن أبرزهم: "إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري" "تاجر الله"[2]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى استمرار رحلات المغاربة للمشرق، سواء للحج أو لطلب العلم، فبالتَّالي ملاقاتهم للزُّهاد والأخذ عنهم[3]، والتَّعلم منهم؛ هنا برز الدَّور الفعَّال في نشر الزُّهد ببلاد المغرب عن طريق بثِّه في نفوس السُّكَّان لمعرفة صفات وأحوال الزُّهاد المشارقة[4]،من خلال المغاربة العائدين من المشرق، ومن أبرزهم: "أبو عبد الله مُحمَّد بن مسروق", و"أبو عبد الله مُحمَّد بن أحمد السُّوسي"، "البهلول بن راشد"، و"عبد الملك بن أبي كريمة"، وغيرهم[5].

المبحث الثَّاني: نماذج لأهم زهَّاد إفريقيَّة من خلال كتاب المالكي وأثرهم في حياة العامة.

أوَّلاً: طبقات زهاد كتاب المالكي:

1)- الطَّبقة الأولى: ومنها:

***إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري:**

كانَ رجلاً صالحاً من أهل الفضل والعبادة والعلم والفقه وهو من العشرة التَّابعين الذين رووا عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما عرف بكثرة الصَّدقة، سُمِّيَ "**بتاجر الله**" لجعل ثلث كسبه لله تعالى. وقد بنى مسجد الزَّيتونة بمدينة "القيروان" وانتفع أهلها بعلمه، كان لباسه جُبَّة وكساء وقلنسوة من صوف، توفي غرقاً سنة107هـ/726م[6].

---

[1]- خالد بلعربي: **مباحث في حركة التَّصوُّف بالمغرب الإسلامي خلال عصر المرابطين- الموحدين- الزَّيانيين، ط.1**، النَّشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2020م، ص.43.

[2]- مُحمَّد بركات البيلي: المرجع السَّابق، ص.54.

[3]- خالد بلعربي: المرجع السَّابق، ص.43.

[4]- مُحمَّد بركات البيلي: المرجع السَّابق، ص.57.

[5]- نفسه، ص.55.

[6]- عبد الله أبو بكر المالكي: المصدر السَّابق، ص.106.

***أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي:**

من العشرة التَّابعين، ولَّاه الخليفة "عمر بن عبد العزيز" على إفريقيَّة، وهو خال الخليفة "هشام بن عبد الملك"[1]، سكن "القيروان" وحكم بالحقِّ والعدل بإتباع كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، عُرِف بحبِّه للجهاد في سبيل الله، كما حرص على أسلمة البربر وتفقيههم الدِّين الإسلامي[2]؛ اشتهر بشدَّة زهده حيث سكن هو وزوجته وفرسه بيت واحد، ضُرب به المثل لزهده، حتى قال فيه أحدهم: «ما رأيت زاهداً في هذه الأمَّة غير اثنين: "عمر بن عبد العزيز"، و"إسماعيل بن عبيد الله المخزومي"». توفي بمدينة "القيروان" سنة 132هـ/750م، وأمر بعد وفاته للتصدُّق بكلِّ ما يملكه[3].

2)- الطَّبقة الثَّانية: ومنها:

*** أبو خلف عبد الرَّحمان بن زياد بن أنعم المعافري الشَّعباني:**

كان من جملة المحدِّثين، مشهوراً بالزُّهد والورع، روى عن جماعة من التَّابعين وعظَّم الإمام "سفيان الثَّوري" حقَّه ولا يشكُّ أحدا في فضله[4]، قال "معاوية": «وسمعت المقري قال: عبد الرَّحمان بن زياد: أنَّا أوَّل من ولد في الإسلام بعد فتح إفريقيَّة»[5].

أسره الرُّوم فخلُّوا عنه لِما رأوا منه، على أنْ يأخذ لهم شيئا عند الخليفة، فلذلك أتى "أبو جعفر" في "بغداد" قال:لِـ"أحمد بن صالح" تحتجُّ بحديث الإفريقي؟ قال: نعم، قلت: صحيح الكتاب؟ قال: نعم[6]. توفي حسب قول "المقري" سنة 156هـ/773م[7].

---

[1]- خالد بلعربي: المرجع السَّابق، ص.43.

[2]- عبد الله أبو بكر المالكي: المصدر السَّابق، ص.116.

[3]- مُحمَّد بركات البيلي: المرجع السَّابق، ص.54.

[4]- عبد الله أبو بكر المالكي: المصدر السَّابق، ص.152.

[5]- أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني: **الكامل في ضعفاء الرِّجال**، تح: لجنة من المختصِّين،**ج.4، ط.1**، دار الفكر الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 1984م، ص.1590 – 1591.

[6]- الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، تح: عبد القادر عطا، **ج.1، ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1997م، ص.214-215.

[7] - خليفة بن خياط: **كتاب الطَّبقات**، تح: أكرم ضياء العمري،**ط.1**، مطبعة العاني، بغداد، 1967م، ص.293 – 297.

*** أبو عبد الله محمد بن أحمد السُّوسي:**

رجلا صالحا فاضلا ورعاَ متجرِّداً من الدُّنيا وزاهداَ فيها، أصله من "السُّوس الأقصى" ثمَّ انتقل إلى "إفريقيَّة" فسكن مدينة "القيروان" وأوطانها[1]؛ سُئل عن الزُّهد فقال:«الزُّهد تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف سرًّا و جهراً»[2].

3)- الطَّبقة الثَّالثة: ومنها:

***أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي:**

شيخاً صالحاً عالماً متفنِّناً في علم الحديث والفقه والعبادة والعربيَّة[3]، كان ذو ثقة مأموناً، سمع عن "مالك بن أنس"، وقد روى عنه نظراؤه من "إفريقيَّة"[4]؛ ومن حكمه قوله: «ثلاثة من أعلام الإحسان، كظم الغيظ، وحفظ الغيب، وستر العيب؛ وثلاثة من أعلام المعرفة، الإقبال على الله، والانقطاع إلى الله، والافتخار بالله؛ وثلاثة من أعلام الفكرة، سرعة الإدراك، إدمان الاعتبار، وكثرة الاستغفار».

توفي عن عمر يناهز السَّادسة والثَّمانون سنة في آخر ربيع من سنة 210هـ/826م[5].

*** أبو يزيد رباح بن يزيد اللخمي:**

رجلٌ صالحٌ مُستجاب الدُّعاء اشتهر بالفضل والزُّهد، وكانوا يتبرَّكون بدعائه ويتَّعظون برؤيته، إذْ كان يُضرب به المثل في عِبادته؛ رقيق القلب غزير الدَّمع، كثير الإشفاق والخشية والتَّواضع والرَّحمة[6].قال "أبو عبد الرَّحمان القصير": «رأيت أربعة ما رأيت في الدُّنيا مثلهم: رأيت "ابن عون بالبصرة فما رأيت مثله، و رأيت "سفيان الثَّوري" بالكوفة فما رأيت مثله، ورأيت "رباح بن يزيد بإفريقيَّة" فما رأيت مثله...»[7].

---

[1]- عبد الله أبو بكر المالكي: المصدر السَّابق، ص.196.

[2]- خالد بلعربي: المرجع السَّابق، ص.43.

[3]- عبد الله أبو بكر المالكي: المصدر السَّابق، ص.241.

[4]- أبو العرب مُحمَّد بن أحمد بن تميم: **طبقات علماء افريقيَّة**، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د. س.ن)، ص.72.

[5]- القاضي عياض: **جمهرة تراجم الفقهاء المالكيَّة**، المصدر السَّابق، ص.321.

[6]- عبد الله أبو بكر المالكي: المصدر السَّابق، ص.300

[7]- أبو العرب: المصدر السَّابق، ص.27.

قال "سعيد بن الحدَّاد": كان لِـ"رباح بن يزيد" صديق، كانت له بنتٌ مقعدة، فسأله أنْ يَتزوَّجها ففعل، فلما دخل عليها أخذ بيدها، وقال لها: «قومي بإذن الله" فقامت صحيحة تمشي، فمال إلى موضع في البيت فصلَّى فيه حتى أصبح، وخرج وخلى سبيلها، إنَّما كان به إلى النِّكاح الدَّعوة لها»[1]. ودائما ما كان يوصي باتِّباع كتاب الله والالتزام به، لقوله في رسالته "للبهلول ابن راشد": «واستعن بكتاب الله عزَّ وجلَّ وكثرة ذكره وتلاوته فإنَّه الشِّفاء والرَّحمة للمؤمنين». توفي سنة 172هـ/789م[2].

***أبو الحجَّاج رباح بن ثابت الأزدي:**

كان من العُبَّاد المجتهدين، والعلماء العاملين[3]،آخذاً عهداً على نفسه أنِ لا ينام مضطجعاً ولا يضحك أبداً ولا يأكل سمينا، فما رؤي ضاحكاً ولا مضطجعاً ولا آكلا سميناً حتى مات. وقد توفي سنة 237هـ/852م، وصلى عليه "سحنون"[4].

4)- الطَّبقة الرَّابعة: ومنها:

***أبو سعيد سحنون بن سعيد بن ربيعة التَّنُّوخي:**

ولد برجب سنة 160هـ/777م، من شيوخ أهل "إفريقيَّة"، أصله من "الشَّام" و بالتَّحديد من "حمص"، قدم مع الجند الفاتحين، واشتهر بالعفَّة والورع والصِّدق والزَّهد في الدُّنيا، فكان لباسه خشنٌ وطعامه قليلٌ، كما عرف بالصَّرامة في الحقّ[5]، فلم يكن يهاب سلطاناً في حقٍّ يقوله، حادٌ على أهل البدع، سُلِّمت له الإمامة فاشتهر في المشرق والمغرب، سمع في "إفريقيَّة" من مجموعة من العلماء، منهم: "علي بن زياد"، و"البهلول بن راشد"، و"أسد ابن الفرات"، وغيرهم[6]؛ وعند ذهابه للحج التقى في "مصر" بأصحاب "**مالك**" وصحَّح رواية "**المدوَّنة**" عن "ابن القاسم" المرويَّة عنه من "أسد ابن الفرات" التي تُعرف بالأسديَّة في "القيروان"، وكان يؤمن بعدم الفائدة من تعدُّد المذاهب في الفقه والعقيدة، كما

---

[1]- عبد الله أبو بكر المالكي: المصدر السَّابق، ص.304.

[2]- إبراهيم التُّهامي: المرجع السَّابق، ص.375.

[3]- الدَّبَّاغ: المصدر السَّابق، ص.62.

[4]- عبد الله أبو بكر المالكي: المصدر السَّابق،ص.283.

[5]- أبو العرب: المصدر السَّابق، ص.101.

[6]- عبد الله أبو بكر المالكي: المصدر السَّابق، ص.345.

عمل على تعليم وإخراج علماء في المذهب المالكي قرابة الأربعين عاما، وتفليح الأرض وغراسة الزَّيتون؛ وقد توفي سنة 210هـ/826م[1].

***أبو عقال بن غلبون:**

نشأ بمدينتي "رقَّادة" و"القيروان"، وهو من أمراء بني الأغلب، أخذ العلم من "سحنون"، وأتقن الشِّعر والأدب[2]، خرج من مدينة "القيروان" متَّجها إلى "مكَّة المكرَّمة"، وقد رفض الدُّنيا وتركها وباع ما كان له من دور وعقار وتصدق به؛ لزم السَّهر والصِّيام، قال في الزُّهد فأحسن. توفي وهو ساجد خلف المقام سنة 200هـ/816م، ودفن بمكَّة المكرَّمة[3].

5)- الطَّبقة الخامسة: ومنها:

***أبو عثمان سعيد بن إسحاق الكلبي:**

ولد سنة 212هـ/828م، كان ثقة متعبَّداً، سريع الدَّمعة، كثير الصَّلاة, وكان حسن الكتاب قليل الخطأ، إذا أُشكل عليه حرف سأل عنه، سكن بقصر الطُّوب يقيم به شهور، ثمَّ يقدِم إلى "القيروان" فيقيم بها شهور فيأتيه النَّاس ليسمعون منه، اشتهر بتخلِّيه عن الدُّنيا والعزلة والانفراد بالله عزَّ وجلَّ، فكان به معلق القلب دائم البكاء، وسمعه أحد الشُّيوخ يبكي اللَّيل كلَّه في ليلة باردة جدًّا حتى أصبح، فقال له: «سألتك بالله ما أبكاك في هذه اللَّيلة بخلاف العادة؟ فقال له: نعم، تفكَّرت في فقراء أمَّة مُحمَّد صلى الله عليه وسلم في هذه اللَّيلة الباردة، فبكيت رقَّة لهم»[4]؛ كان دائم الحسرات. توفي في جمادى الأولى من من سنة 295هـ/فيفري. مارس908م[5].

ثانيا: أثر الحركة الزُّهديَّة بمجتمع القيروان وإفريقيَّة:

1)- الأثر الديني والعلمي: تحمل زُهَّاد إفريقيَّة على عاتقهم مسؤوليَّة نشر تعاليم الدِّين الإسلامي من خلال ممارساتهم المتمثِّلة في التَّقرب لله والابتعاد عن ملذَّات الدُّنيا،

---

[1]- مُحمَّد البهلي النَّيال: **الحقيقة التَّاريخيَّة للتصوُّف الإسلامي، ط.1**، مكتبة النَّجاح، تونس، 1965م، ص.146.

[2]- نفسه، ص.15.

[3]- عبد الله أبو بكر المالكي: المصدر السَّابق،ج2, ص.527

[4]- نفسه، ص.14.

[5]- الدَّبَّاغ: المصدر السَّابق، ص.257.

ومحاربة البدع والانحرافات بالوعظ والحكمة، كما كان الكثير منهم من أهل العلم والفقه، يعلِّمون النَّاس أمور دينهم ويفقِّهونهم فيه؛ حيث كان لهم حلقات علم يقصدها الطُّلَّاب والنَّاس للسماع منهم والأخذ عنهم، ومثال ذلك:

"**عبد الله بن الحكم البلوي**": روى عن جماعة من أهل العلم[1]، منهم: "علي بن رباح اللَّخمي" وروى عن "الليث بن سعد"[2]، كان واعظاً فقيهاً عالماً وله العديد من الكتب، منها: "كتاب الأبواب"، و"كتاب المعرفة"، و"كتاب الدِّين وفرائضه"[3].

كما نجد: "**عبد الله بن فروخ**" مقيم بإفريقيَّة، عمل على تعليم النَّاس وحثِّهم على إتِّباع سنَّة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلم، حتى انتفع منه الكثير[4]، وله الفضل في إدخال **المذهب المالكي** للمنطقة عندما لقي "**مالك بن أنس**"، وكذا "أبي حنيفة النُّعمان"، والذي كتب عنه نحو عشرة آلاف مسألة[5]. كما برز دور "**أبو علي شقران بن علي الفرضي**" في في ردِّ النَّاس وحثِّهم على عبادة ربهم بالموعظة الحسنة والحكمة[6].

أمَّا "**سحنون بن سعيد بن حبيب التَّنوخي**" فيكمن أثره في سماع النَّاس "**الموطأ**" عنه ما رسخ المذهب المالكي بإفريقيَّة، كما أخذوا عنه "جامع ابن وهب" وكتابه "الزُّهد"، وذلك من خلال إقامته حلقات علم في بيته وفي المسجد حتى يصل عدد الطُّلَّاب أحيانًا إلى أربعمائة طالب، فمعظم وقته كان في إسماع النَّاس والقراءة عليهم حتى الغرباء، فذاع صيته في كلِّ الأرجاء؛ بهذا وجه الكثير من عامة "إفريقيَّة" إلى السُّنَّة وعلمُ "مالك"، كما حارب وفرَّق حلق أهل البدع[7].

---

[1] – المالكي: المصدر السَّابق، ج2،ص.167.

[2]– أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التَّميمي السَّبتي: **كتاب الثِّقات،ج.7**، 1981م, ص30.

[3]– ابن النَّديم: الفهرست،**ط.1**، دار المعرفة، بيروت، (د.س.ن)، ص.273.

[4]– المالكي: المصدر السَّابق،ج1، ص.177.

[5]– صاحي بوعلام: **الحياة العلميَّة بإفريقيَّة في عصر الدَّولة الأغلبية [184-296هـ/800-909م]**،أطروحة دكتوراه(**غ.م**)، تخ: التَّاريخ الوسيط، قسم التَّاريخ، كلِّيَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة بن يوسف بن خدَّة، الجزائر، 2008م، ص.65.

[6]– المالكي: المصدر السَّابق،ج1، ص.313.

[7]– علي مُحمَّد الصَّلابي: المرجع السَّابق، ص.503.

وعن الزَّاهد "**مسافر بن سنان**" فكان له الفضل في وعظ النَّاس وتذكيرهم وإقرائهم القرآن، فاجتمع إليه العامة وانتفعوا منه[1]، كما كان له مجلس لسماع الذِّكر والقرآن الكريم بـِ"**جامع السَّبت**" الواقع بالدِّمنة خارج سور "القيروان"، وسمِّيَ بذلك لعقد المجالس به كلَّ يوم سبت من أوَّل النَّهار إلى الزَّوال، وليلة النِّصف من شهر "شعبان" و"رمضان" بحضور مجموعة من الزُّهَّاد والعلماء والقُراء والحُفَّاظ؛ كما عُرف بمسجد الدِّمنة نسبة لـِ"أبي مُحمَّد الأنصاري الدِّمني الضَّرير"، فيما بعد سمي بـِ"مسجد العربي" لأنَّه قام بخدمته رجل يدعى "مُحمَّد العربي"، و"مسجد الخميس" الذي بناه "أبو إسحاق إبراهيم بن المضاء"، يعقد فيه كلَّ خميس مجلس يجمع جملة من الزُّهَّاد والصُّلحاء من العصر لغاية أوَّل اللَّيل؛ وكان العامة يقصدونهما وكذا الحُكَّام للتبرك وتوزيع الصَّدقات، وكِلاَ المسجدين متقاربين في الموقع، لكن "مسجد السَّبت" أقدم وأشهر من "مسجد الخميس"[2].

2)- الأثر الاجتماعي: من خلال الأثر الديني والعلمي الذي أداه زهاد افريقية شكل لهم مكانة داخل المجتمع جعلهم محلَّ تقدير واحترام بين النَّاس خصوصاً أولئك الذين اشتهروا بأنَّهم مستجابي الدَّعوة، واشتهر البعض الآخر بالكرامات، فكان يلجأ إليهم السُّكَّان للتبرك أو للتدخل في حلِّ المشاكل اليوميَّة أو اللجوء لهم كواسطة للحكَّام، كأيام القحط والجفاف والمحن، ونذكر منهم:

"**يحيى بن زكريا بن مُحمَّد بن الحكم التَّجيبي** "الذي حظي بمكانة راقية لدى العامة، ففي جنازته ازدحم النَّاس على نعشه وكثروا عليه، حتى صاح صائح: «يا معشر المسلمين ازدحموا على عمله ولا تزدحموا على نعشه»[3].

"**أبو خارجة بن عنبسة بن خارجة الغافقي**" اشتهر باستجابة الدُّعاء فقصده أهالي "سُفاقس" لما نزل بهم القحط والجهد، قائلين: «نزل بنا الجوع والقحط فاستسق لنا فقال لهم: "تأتون غداً ببناتكم وصبيانكم وبهائمكم وتبيتون صياماً اللَّيلة"، فإنْ كان اللَّيل، فقفوا بين يديه، وتضرَّعوا إليه وأعرضوا أعمالكم عليه فإنَّه يرقُّ لحالكم، وعند بلوغ الغد اجتمع بهم فصلى معهم صلاة الاستسقاء داعيا الله عزَّ وجلَّ: "أنت مولانا مالنا غيرك

[1] -علي مُحمَّد الصَّلابي: المرجع السَّابق،ص.199.

[2] - مُحمَّد بركات البيلي: المرجع السَّابق، ص.65-66.

[3]- المالكي: المصدر السَّابق، ج1، ص.240.

ولاسواك... ولا نبرح من بين يدي كريم حتى تستقينا، ووسيلتنا إليك نبينا الذي جعلته رحمة لنا صلَّى الله عليه وسلم"»[1]. كما أنَّه دائماً ما يرشد ويوعظ النَّاس لقوله: «أوصيكم بأنْ تكونوا ذاكرين غانمين أو ساكتين سالمين، وإياكم وكثرة الكلام إنَّ العبد يُسأل يوم القيامة عن فضول كلامه، كما يسأل عن فضول ماله، وإياكم وكثرة الضَّحك فإنَّها تميت القلب، وتذهب بنور الوجه وتورِّث الفقر»، كما أوصى بثلاث من أعلام الإحسان: كظم الغيظ، وحفظ الغيب، وستر العيب[2].

وعندما أصاب القيروان قحط جاء جماعة **لشقران** قالوا له: «يا أبا علي أدع لنا الله يسقنا فقد ترى ما النَّاس فيه من الجهد والغلاء فشد إزاره على وسطه، ورفع يديه بالدُّعاء والتَّضرُّع لله قائلا: "عزيمة مني عليك، اسقنا السَّاعة السَّاعة" فأرعدت السَّماء وأبرقت وأمطرت فقيل: فخرجنا من عنده نخوض في الماء إلى أنصاف سيقاننا»[3].

وفي زمن "**حفص بن عمر الجزري**" حكم الأمير "أبي العباس بن الأغلب" وكان قاسياً في معاملة الرَّعيَّة، إذ فرض عليهم ضريبة على كلِّ زوج تحرث ثمانية دنانير، فضاق الأمر بالنَّاس فقدم حفص مع مجموعة من الصَّالحين ودخلوا على الأمير قائلا له: «أيها الأمير اتقي الله وارحم شبابك هذا واحذر على وجهك الجميل النَّار، وخفِّف عن النَّاس وأسقط عنهم ما وضعت»؛ وبعد خروجه أمرهم بالدَّعاء قائلاً: «اللَّهم إنَّ هذا الرَّجل الذي فظَّلته على عبادك في هذه الدُّنيا ومكَّنته في بلادك قد ظلمناً... واحكم بيننا وبينه وأنت خير الحاكمين»، فما لبث الأمير الأغلبي حتى مات في اليوم السَّابع من دعائهم[4] في ذي الحجة سنة 201هـ/817م وقيل أنَّه شبِّه بالعبد الأسود عندما كشف عنه بعد شدَّة جماله أثر قرحة عظيمة[5].

وفي سنة (233-240هـ/848 -855م) قـام أحد قادة الدَّولة الأغلبيَّة بسبي حوالي

---

[1]-المالكي: المصدر السَّابق،ج1، ص.242.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص.246.

[3]- نفسه، ص.319-320.

[4]- نفسه، ص.331 - 332.

[5]- أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى: **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح: بشار عواد معروف و محمود بشار عواد، **مج.1، ط.1**،دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م، ص.135.

سبعة عشرة إمرأة قُرشيَّة إبَّان ثورة "جزيرة شريك"، فأنكر "سحنون" ذلك فجمع نحو ألف رجل، وقال لهم: «تخيَّروا منكم مائة رجل أريدهم لأمر يؤجرني الله عليه، فتصدى له القائد ووشي للحاكم الأغلبي فأرسل فتى لسحنون لردهن له فرفض ذلك قائلا: "**والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجهن من داري حتى تعزلني عن القضاء**" فما كان على "أبو العباس مُحمَّد إلَّا أنْ يرضى بما فعل "سحنون" فرد عليه قائلا: **جزاك الله عن نفسك وعن المسلمين خيراً فقد أحسنت أوَّلًا و آخراً ونحن نرضى قائدنا فهو من موالينا وامض على أحسن نظرك**»[1].

هكذا كان زهَّاد "**القيروان**" و"**إفريقيَّة**"، سلوكاً وتأثيراً بناء على الأفعال ثمَّ الأقوال.

[1]– مُحمَّد البهلي النَّيال: المرجع السَّابق، ص.143-144.

خاتمة

بعد هذه الدِّراسة التَّاريخيَّة حول كتاب حياة "**رياض النُّفوس**" "**للمالكي**"، وما حمله من أخبار حول زهَّاد "**القيروان**" و"**إفريقيَّة**" وتشكيلهم لهذه الحركة التي استهوت رجال التَّاريخ للكتابة عنها ورصدها، توصَّلنا إلى جملة من الاستنتاجات نوردها فيما يلي:

✓ تُعتبر مدينة "**القيروان**" أوَّل مركز إسلامي أُسِّس ببلاد المغرب، كان له الأثر البالغ بعد تأسيس مسجده، الذي يعتبر بيت الحُكم والحِكمة في ذلك الزَّمن؛ فأصبح مقرَّ تفاعلات كلُّ شؤون المسلمين ببلاد المغرب، السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة؛ وعليه أصبح كلَّ أمر يُؤخذ حكمه و مرجعيته من "**القيروان**".

✓ تُعتبر "**إفريقيَّة**" الحاضرة، البيئة المحتضنة لكلِّ التَّفاعلات الحاصلة بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي، من خلال **البعثة العمريَّة** وما انجرَّ عنها، حيث كانت هذه البعثة حاملة لمجموعة رجال علماء من خيرة أبناء الأمَّة الإسلاميَّة، والذين شكَّلوا النَّموذج **القدوة** في العلم والزُّهد والتَّواضع، فكانوا منارات لمن أتوا بعدهم.

✓ السُّلوك الزُّهدي الذي كان يحوزه علماء البعثة العمريَّة المكوِّنين لجيل الطَّبقة الأولى من الزُّهَّاد، أثَّر في الشَّخصيَّة الاعتباريَّة لأهل "القيروان" و"إفريقيَّة"، بل أنَّه أصبح جبِّلة فيهم وأصل من أصولهم، مأكلاً ومشرباً وسلوكاً، فكثر المنتسبين لهذه الحركة.

✓ لقد ساهمت عدَّة عوامل في تشكيل الحركة الزُّهديَّة بـِ"القيروان" و"إفريقيَّة"؛ **أوَّلها**: العامل العلمي الذي كان ينبي على تديُّن وعلم الصَّحابة وكبار التَّابعين، والأئمة الهادين وعلى رأسهم عالم "**المدينة المنوَّرة**"، الإمام "مالك بن أنس". **وثانيها**: العامل السِّياسي العسكري، الذي كان يشهد حروباً وفتوحات ثمَّ فتن؛ فتشكَّلت الرِّباطات التي ساعدت في تبلور هذه الحركة، وبروزها للعِيَّان.

✓ قدَّمت الحركة الزُّهديَّة بـِ"**القيروان**" و "**إفريقيَّة**" الكثير من نماذج المشايخ العلماء العاملين الزَّاهدين الذين يُهتدى بهديهم ويستضاء بنور علمهم، من خلال تقفي آثارهم حالاً ومقالاً؛ فقد كان حالهم يُشكِّلُ **القُدوة** لكلِّ من يراهم ويلحظ سلوكهم ومعاملتهم، ومقالهم مليء بالصِّدق، لأنَّه ثمرة عمل ميداني وتطبيق للقرآن الكريم، وأحاديث النَّبي الأمين، ولهذا كلَّما تكلَّموا أثَّروا تنظيراً وتقعيداً؛ وهذا ما رصده "**رياض النَّفوس**".

✓ نظراً لقوَّة تأثير الحركة الزُّهديَّة وازدهارها في "**القيروان**" و "**إفريقيَّة**" استفزَّت الكتَّاب والمؤرخين للكتابة عليها، ولولا قوَّة هذه الحركة وتأثيراتها في شتى مناحي الحياة بهاته الرُّبوع لما وصلنا "**رياض النُّفوس**".

✓ يعتبر كتاب "**رياض النُّفوس**" شذرة من شذرات العلم والمعرفة المليئة بالرَّصد التَّاريخي لحال أعلام بلاد المغرب الإسلامي الزُّهَّاد الذين شكَّلوا حلقة وصل بين سلوك الصَّحابة والتَّابعين، ومن أتى بعدهم من تابع تابع التَّابعين والمقتفيين لأثر وآثار الصَّالحين، فكان "**رياض النُّفوس**" الموسوعة الجامعة المانعة والمُعرِّفة بالحال والمقال على هؤلاء المنارات.

✓ لقد تنبه **الزُّهاد** إلى أنَّه لا يمكن النُّهوض بالأمَّة إلاَّ من خلال التَّعليم، فقاموا باحتضان النَّشء الموجود بـِ"القيروان و"إفريقيَّة"، وتوجيههم التَّوجيه الصَّحيح من خلال التَّربية السُّلوكية وترقيتهم فيها، والتَّعليم الدِّيني القويم.

✓ لقد كان **للزُّهاد** الأثر البالغ في التَّكوين الدِّيني لأبناء المغرب الإسلامي سَمَاعاً وتتلمذاً، وأخذهم على عاتقهم محاربة الجهل والعقائد الفاسدة وكذا التَّصدي لأعداء الأمَّة والدِّين التي ظهرت ببلاد المغرب الإسلامي.

✓ لقد أدرك **الزُّهاد** نعمتي الصَّحة والفراغ، فقسَّموا وقتهم واستغلوه بكلِّه وكلكله في العبادة، بين الصَّلاة والأذكار والتَّدريس والتَّربية والتَّوجيه والتَّأليف، والوقوف على شؤون النَّاس ومساعدتهم، ما جعل منهم شيوخاً كمَّالاً متكاملين، يستحقُّ كلَّ واحد منهم تسليط الضَّوء حول شخصيته.

✓ لقد حاولنا جاهدين التَّعرف على الحركة الزُّهديَّة بـِ"**القيروان**" و"**إفريقيَّة**" وطبقاتها، والأعمال التي قاموا بها هذه ما أمكننا البحث العلمي لذلك، لكن مهما بحثنا وكتبنا لا يمكن لنا اظهار جميع جوانب هذه الحركة التي دخلت وتدخَّلت في شتى تفاصيل حياة أهل القيروان وإفريقيَّة، والتي امتدت لمدة تقارب الخمسة قرون، فكانت عميقة بقوة فاعليتها، وشدَّة تأثيرها في محيطها، وغزارة عطائها غير المحدود دون انتظار المقابل، وكان همَّها الوحيد قيامها بواجبها اتجاه **لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ.**

✓ **أمَّا توصيتنا:** فنوصي بالبحث في آثار الحركة الزُّهديَّة على الأندلس ثمَّ صقليَّة.

ملاحق

الملحق. رقم (**1**).

خريطة إفريقيَّة

المصدر: القاضي نعمان، **افتتاح الدَّعوة**، تح: الدِّشراوي فرحات، **ط.2**، الشَّركة التُّونسيَّة للتَّوزيع، 1986م، ص. **د**.

الملحق. رقم **(2)**.

صفحة العنوان لمخطوط باريس من "رياض النفوس".

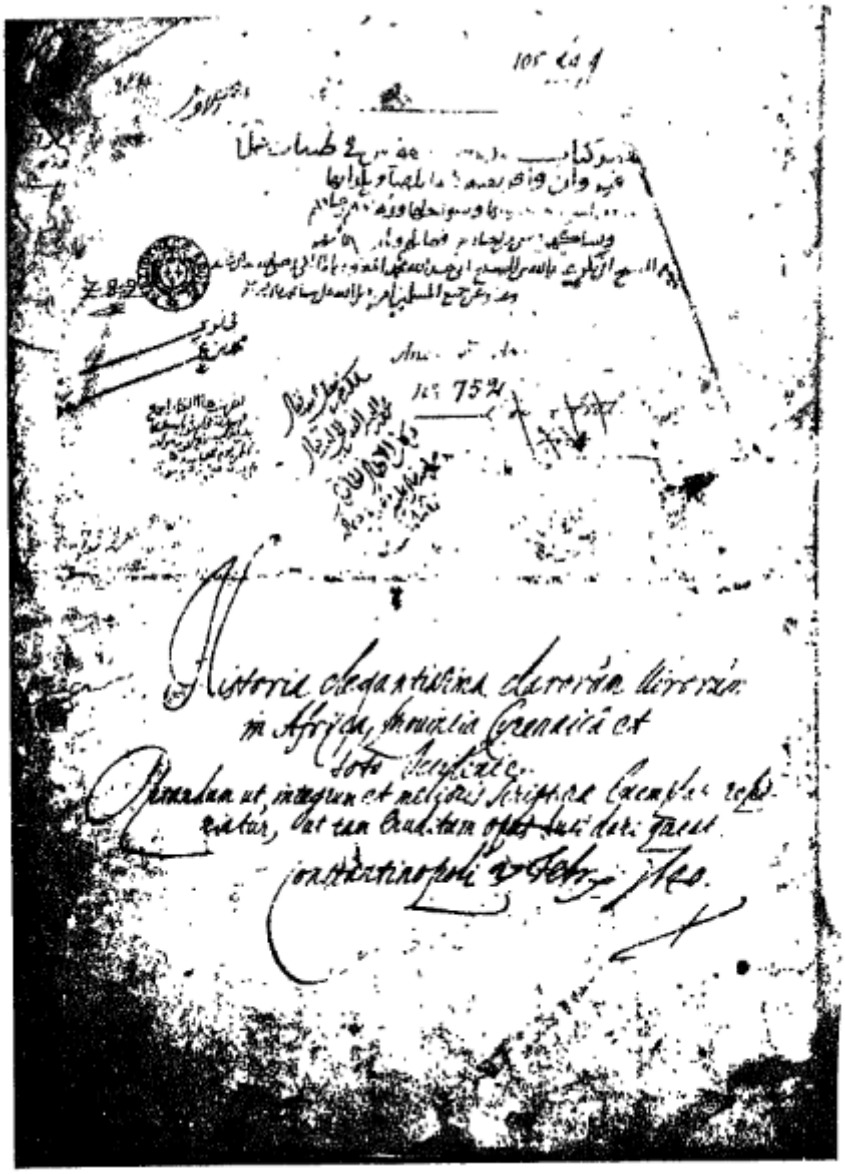

المصدر: المالكي، مصدر سابق، **ج.1**، ص. أ.

الملحق. رقم (3).

ظهر الورقة الأولى من مخطوط باريس، وبها فاتحة الكتاب.

المصدر: المالكي، مصدر سابق، **ج.1**، ص. **ب.**

الملحق. رقم (4).

نهاية الجزء الأول وبدء الجزء الثاني من "الرياض" مخطوط باريس.

المصدر: المالكي، مصدر سابق، **ج.1**، ص. **ج**.

الملحق. رقم (5).

وجه الورقة الأولى من مخطوط القاهرة.

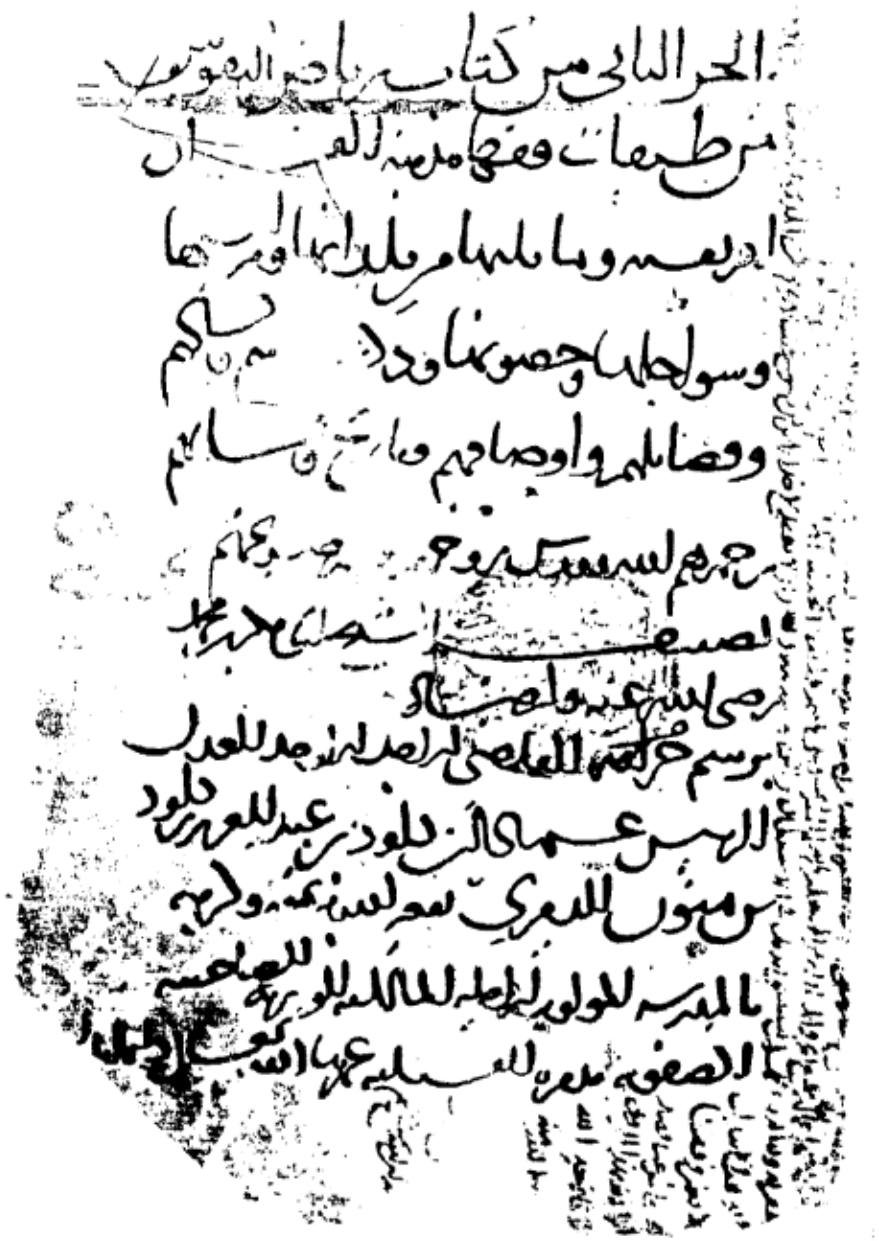

المصدر: المالكي، مصدر سابق، **ج.1**، ص. **د.**

الملحق. رقم (6).

ظهر الورقة الأولى من مخطوط القاهرة.

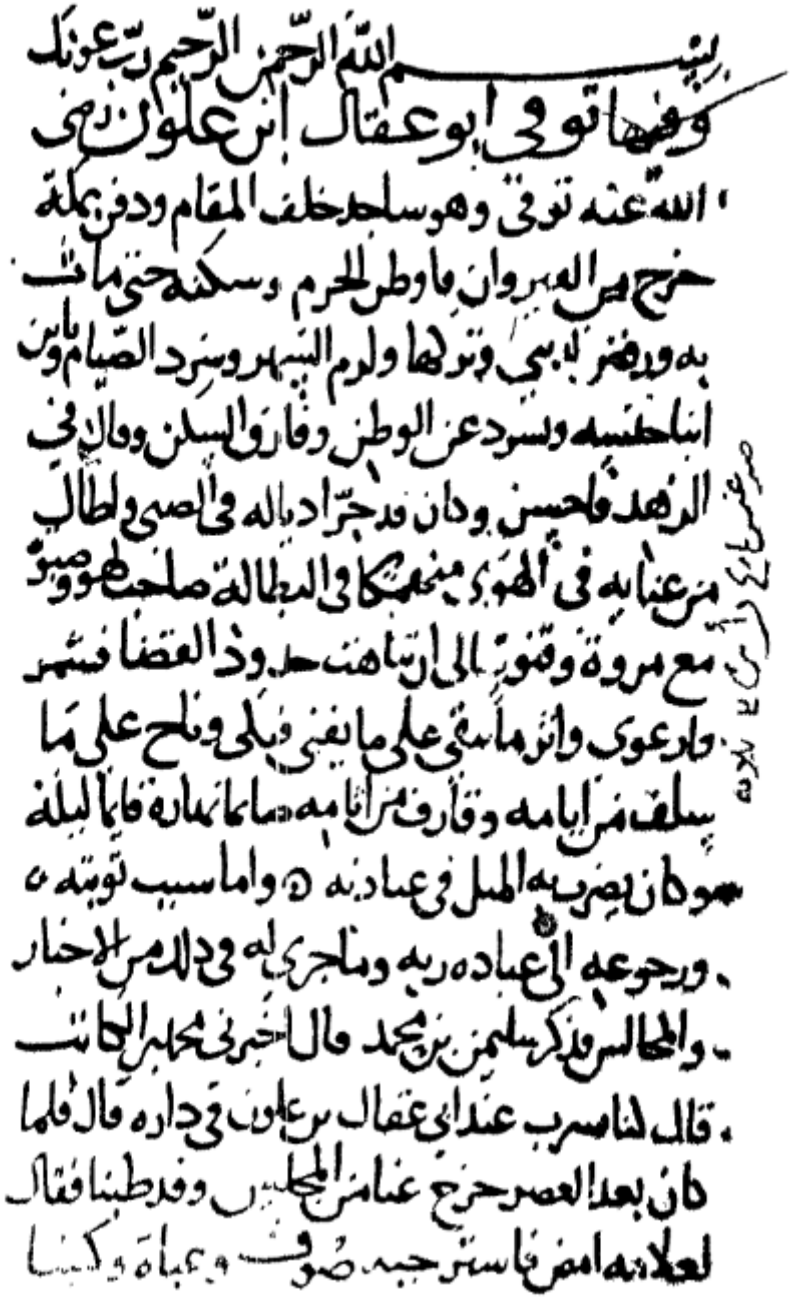

المصدر: المالكي، مصدر سابق، **ج.1**، ص. هـ.

الملحق. رقم (7).

وجه الورقة الأخيرة من مخطوط القاهرة.

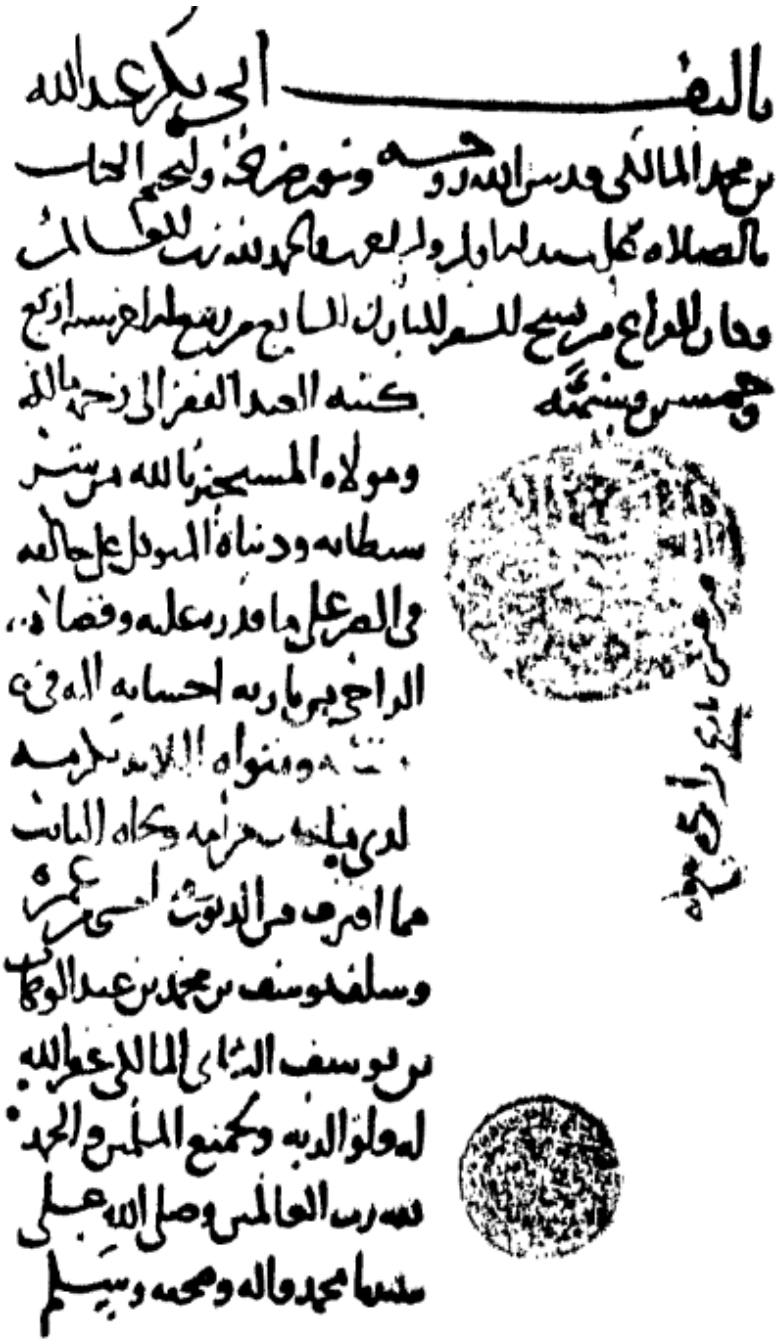

المصدر: المالكي، مصدر سابق، **ج.1**، ص. و.

الملحق. رقم (8).

الورقة الأولى من مخطوط المختصر (المتحف البريطاني – م).

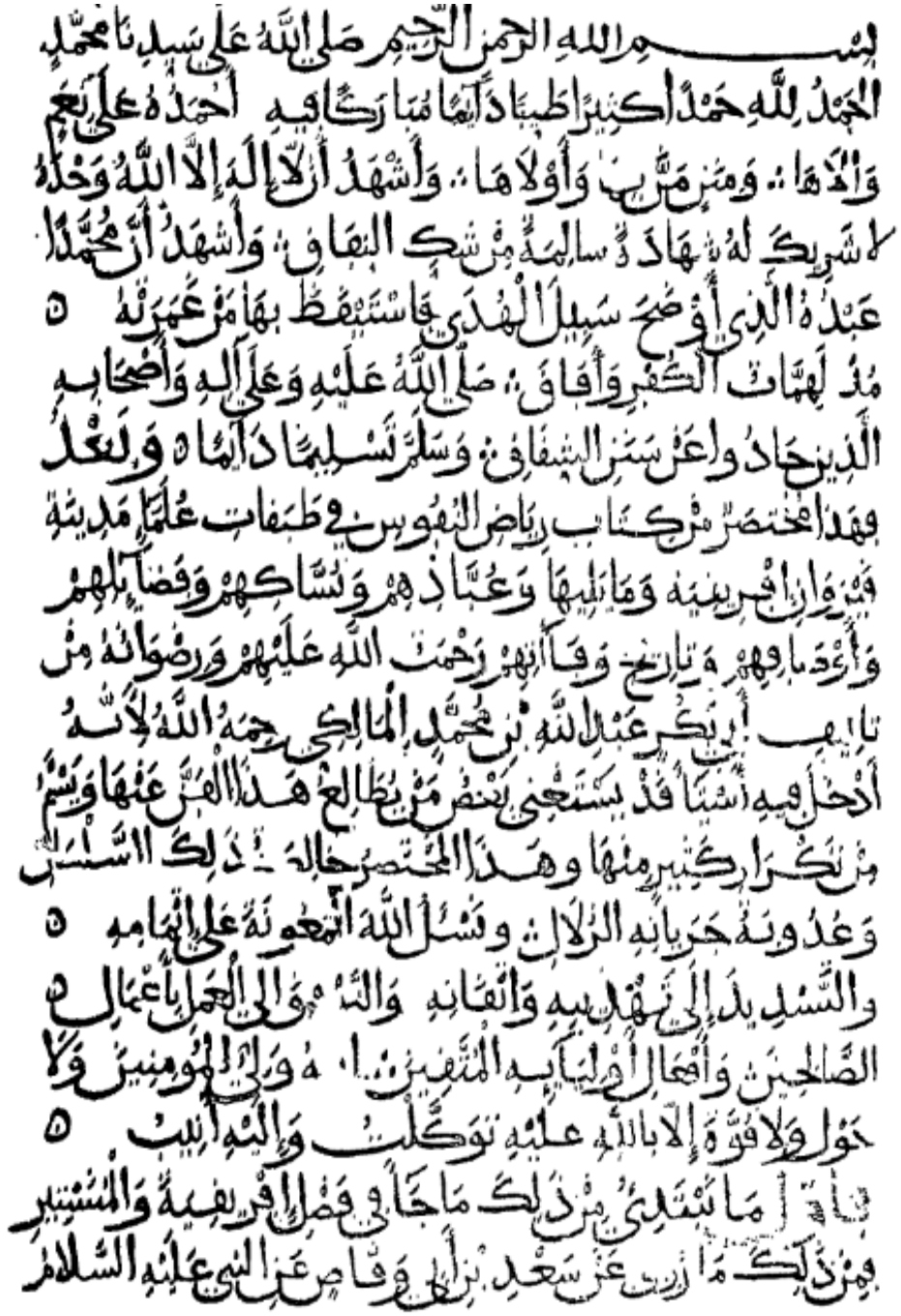

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
الحمد لله حمدا كثيرا طيبا دائما مباركا فيه أحمده على نعمه
وآلائها ومن منّ بها وأولاها وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة سالمة من شك النفاق وأشهد أن محمدا
عبده الذي أوضح سبيل الهدى فاستبقط بها من غمرته
مذ لهمات الكفر وأفاق صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
الذين جاد وا عن سنن الشفاق وسلم تسليما دائما وبعد
فهذا مختصر من كتاب رياض النفوس في طبقات علماء مدينة
القيروان وإفريقية وما يليها وعبّاد هم ونسّاكهم وقضاتهم
وأخبارهم وتاريخ وفياتهم رحمت الله عليهم ورضوانه من
تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي رحمه الله لأنه
أدخل فيه أشياء قد يستغني بعض من يطالع هذا المختصر عنها ويسأم
من تكرار كثير منها وهذا المختصر خاليا من ذلك السآمة
وعدوبة جريانه الزلال ونسأل الله المعونة على إتمامه
والتسديد إلى تفهيمه وإتقانه والله ولي العمل بأعمال
الصالحين وأهمال أولياءه المتقين اه وهو ولي المؤمنين ولا
حول ولا قوة إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب
وابتدأ ما ابتدئ من ذلك ما جاء في فضل إفريقية والمستبشر
بمن ذلك ما ورد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي عليه السلام

المصدر: المالكي، مصدر سابق، **ج.1**، ص. ح.

الملحق. رقم (**9**).

الورقة الأخيرة من مخطوط المختصر (المتحف البريطاني – م).

المصدر: المالكي، مصدر سابق، **ج.1**، ص. **ط.**

الملحق. رقم **(10)**.

رباط المنستير

المصدر: ناجي جلول، «الرِّباطات البحريَّة بإفريقيَّة في العصر الوسيط»، **السِّلسلة التَّاريخيَّة، ع.9**، تونس، 1999، ص.401 – 402.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر المراجع

أ/- القرآن الكريم

ب/- المصادر:

1- البكري أبو عبد الله: **المغرب في ذكر بلاد افريقيَّة والمغرب**، تح: حماه الله ولد سالم، **ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت 2003م.

2- ابن الجرَّاح وكيع: **كتاب الزُّهد**، تح: عبد الرَّحمان عبد الجبَّار الفريوائي، **ج.1، ط.1**، مكتبة الدَّار، المدينة المنوَّرة، 1984م.

3- الجرجاني أبو أحمد عبد الله بن عدي: **الكامل في ضعفاء الرَّجال**، تح: لجنة من المختصِّين، **ج.4، ط.1**، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 1984م.

4- الجرجاني علي بن مُحمَّد بن علي الزَّين الشَّريف : **كتاب التَّعريفات**، تح: مجموعة من العلماء **ط.2**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1985م.

5- الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن مُحمَّد بن العماد: **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب، ج.4، ط.2**، دار المسيرة، بيروت، 1979م، ص.114 .

6- بن الخياط خليفة: **كتاب الطَّبقات**، تح: أكرم ضياء العمري، **ط.1**، مطبعة العاني، بغداد، 1967م.

7- الدباغ عبد الرَّحمن بن مُحمَّد الأنصاري الأسيدي: **مَعالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح و تع مُحمَّد ماضور، **ج.3، ط.1**، المكتبة العتيقة، تونس، 1968م

8- الرازي يحيى بن معاذ: **جواهر التَّصوُّفِ**، تع: سعيد هارون عاشق، **ط.1**، مكتبة الآداب، القاهرة، 2002م.

9- الزُّبيري عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب: **كتاب نسب قريش**، تح: ليفي بروفنسال، ط.3، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

10- السخاوي مُحمَّد بن عبد الرَّحمان بن مُحمَّد شمس الدِّين: **الإعلان بالتَّوبيخ لمن ذمَّ أهل التَّأْريخ**، تح: فرانز روزنثال، تر: صالح أحمد العلى، **ط.1**، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، 1986م

11- السَّبتي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التَّميمي: **كتاب الثِّقات،ج.7**، 1981

12- السَّلفي أحمد بن مُحمَّد: **معجم السَّفر**، تح: عبد الله عمر البارودي، **ط.1**، دار الفكر، بيروت، 1993م.

13- السَّلمي أبي عبد الرَّحمان مُحمَّد بن حسين بن موسى: **تسعة كتب في أصول التَّصوُّف**

والزُّهد، تح: سليمان إبراهيم آتش، **ط.1**، الناشر للطباعة والنشر والتَّوزيع والإعلان، بيروت، 1993م.

14- السيُوطي جلال الدِّين: **بُغيْة الوعَّاة في طبقات اللُّغويِّين والنُّحَّاة**، تح: مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، **ج.1**، **ط.2**، دار الفكر، بيروت، 1979م

15- بن ابي الضِّياف: **إتحاف أهل الزَّمان بأخبار تونس وعهد الأمان**، تح: لجنة من وزارة الشُّؤون الثَّقافيَّة، **ج.1**، **ط.2**، الدَّار العربيَّة للكتاب، تونس، 2004م.

16- (ابن قنفد القسنطيني) أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب: **كتاب الوفَيات**، تح: عادل نويهض، **ط.4**، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983م.

17- المكي عبد الله اسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني: **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزَّمان**، تح: خليل منصور، **ج.3**، **ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1997م.

18- إبن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد: **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، **مج.1**، **ط.1**، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م

19- أبو عرب محمد بن أحمد بن تميم: **طبقات علماء افريقية**، **(د.ط)**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، **(د. س. ن)**.

20- القاضي عيِّاض: **جمهرة تراجم الفقهاء المالكيَّة**، تح: قاسم علي سعد، **ج.1**، **ط.1**، دار البحوث للدِّراسات الإسلاميَّة وإحياء التُّراث، دبي، 2002م

21- القشيري مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، تح: مُحمَّد فؤاد عبد الباقي، **ج.3**، **ط.1**، دار الحديث للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1991م.

22- القيرواني الرَّقيق: **تاريخ إفرِيقيَّة والمغرب**، تق وتح وتع: مُحمَّد زينهم مُحمَّد عزب، **ط.1**، دار الفرجاني للنشر والتَّوزيع، القاهرة،1994م.

23- المالكي أبي بكر عبد الله بن مُحمَّد: **رياض النُّفوس**، تح: بشير البكوش، مر: مُحمَّد العروسي المطوي، **ج.1**، **ط.1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م

24- ــــــــــــــــــــــ: **رياض النُّفوس**، تح: بشير البكوش، مر: مُحمَّد العروسي المطوي، **ج.2** ، **ط.1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

25- إبن مخلوف مُحمَّد بن مُحمَّد بن عمر: **شجرة النُّور الزَّكيَّة في طبقات المالكيَّة**، تع: عبد

المجيد خيالي، **ج.1، ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2003م
26- المراكشي ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج. س. كولان و ليفي بروفنسال، **ج.1، ط.3**، دار الثَّقافة، بيروت، 1983م
27- المراكشي عبد الواحد: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: مُحمَّد سعيد العريان ومُحمَّد العربي العلمي، **ط.1**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م.
28- المروزي عبد الله بن المبارك: **الزُّهد والرَّقائق**، تح وتع: أحمد فريد، **مج.1، ط.1**، دار المعراج الدُّوليَّة، الرِّياض، 1995م.
29- المقدسي أحمد بن مُحمَّد بن عبد الرَّحمان بن قدامة: **مختصر منهاج القاصدين**، تح: سعد العارف، **ط.2**، دار إحياء العلوم، بيروت، 1997م
30- المناوي عبد الرَّؤوف: **فيض القدير شرح الجامع الصَّغير، ج.2، ط.2**، دار المعرفة للطباعة والنَّشر، بيروت، 1972م.
31- إبن منظور: **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير وأخرون، **مج.3،ج.24**، دار المعارف، القاهرة، 1979م.
32- إبن النَّديم: **الفهرست، ط.1**، دار المعرفة، بيروت،**(د. س. ن)**،

ج/- المراجع:

1- البدوي عبد الرَّحمان: **تاريخ التَّصوُّفِ الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثَّاني، ط.1**، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975م.
2- البغدادي إسماعيل باشا: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين هدية العارفين، مج.2، ط.3**، مؤسَّسة التَّاريخ العربي، بيروت، 1967م.
3- بلعربي خالد: **مباحث في حركة التَّصوُّف بالمغرب الإسلامي خلال عصر المرابطين-الموحدين-الزَّيانيين، ط.1**، النَّشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2020م.
4- البيلي مُحمَّد بركات: **الزُّهاد والمتصوِّفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري**، دار النَّهضة العربيَّة، القاهرة، 1995م.
5- البيهقي الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين: **الزَّهد الكبير**، تح: عامر أحمد حيدر، **ط.1**، دار الجنان، بيروت، 1987م.
6- التُّهامي إبراهيم: **جهود علماء المغرب في الدِّفاع عن عقيدة أهل السُّنَّة، ط.1**، مؤسسة الرِّسالة ناشرون، بيروت، 2005م.

7- علال البختي جمال: **الحضور الصُّوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السَّابع الهجري، ط.1**، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة، القاهرة، 2005م.

8- جعيط هشام: **تأسيس الغرب الإسلامي (القرن الأوَّل والثَّاني هجري/السَّابع والثَّامن ميلادي)، ط.1**، دار الطَّليعة، بيروت، 2004م.

9- حسن مُحمَّد: **الجغرافية التَّاريخيَّة لإفريقيَّة من القرن الأوَّل إلى القرن التَّاسع (هـ)/السَّابع - الخامس عشر (م) فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، ط.1**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، 2003م.

10- حوالة يوسف أحمد: **الحياة العلميَّة في افريقيَّة "المغرب الأدنى "منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس ال هجري (90/450هـ)،ج.1، ط.1**، جامعة أم القرى، مكَّة المكرَّمة، 2000م.

11- الزِّرِكْلِي خير الدِّين: **الأعلام، ج.3، ط.15**، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

12- زغلول عبد الحميد سعد: **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، ط.1**، منشأة المعارف، القاهرة، 1978م

13- زيتون مُحمَّد: **القيروان ودورها في الحضارة الإسلاميَّة، ط.1**، دار المنار، القاهرة، 1988م.

14- سالم السَّيد عبد العزيز: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط.1**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 1999 ابن أبي الدِّينار: **المؤنس في أخبار إفريقيَّة وتونس**، ط.1، المطبعة الدَّوليَّة، تونس، 1986م.

15- السَّامرائي فراس سليم: **تاريخ المغرب العربي، ط.1**، دار الرِّضوان، عَمَّان، 2014م.

16- الشَّريف مُحمَّد الهادي: **ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التَّاريخ إلى الاستقلال**، تع: مُحمَّد الشَّاوش ومُحمَّد عجينة، **ط.3**، دار سراس، تونس، 1993م.

17- صَّلَّابي مُحمَّد علي: **صفحات مشرقة من التَّاريخ الإسلامي، ج.2، ط.1**، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2013م.

18- عباس إحسان: **معجم العلماء والشُّعراء الصِّقليِّين، ط.1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

19- حسني عبد الوهاب حسن: **الامام المازري، ط.1**، دار الكتب الشَّرقيَّة، تونس، 1955م.

20- عزيز أحمد: **تاريخ صقلِّيَّة الإسلاميَّة**، تر: أمين توفيق الطِّيبي، **ط.1**، الدَّار العربيَّة

للكتاب، تونس، 1980م.

21- كحالة عمر رضا: **معجم المؤلفين، ج.2، ط.1**، مؤسَّسة الرِّسالة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 1993م.

22- ـــــــــــــ: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة،ج.1، (د.ط)**، المكتبة الهاشميَّة، دمشق،1949م.

23- ـــــــــــــ: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج.3، ط.8**، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت،1997م.

24- كرو أبو القاسم مُحمَّد: **عصر القيروان، ط.2**، دار طلاس للدراسات والتَّرجمة والنَّشر، دمشق، 1989.

25- مؤنس حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط.4**، دار الرَّشاد، القاهرة، 2000م

26- نقرة التُّهامي: القيروان عبر العصور، **ط.1**، المكتبة الثَّقافيَّة، القيروان، 1964.

27- النَّيال مُحمَّد البهلي: **الحقيقة التَّاريخيَّة للتصوُّف الإسلامي، ط.1**، مكتبة النَّجاح، تونس، 1965م.

28- الهروي عبد الله الأنصاري: **منازل السَّائرين، ط.1**، دار الكتب العلميَّة, بيروت,1988م.

د/- المقالات العلميَّة:

1- الدِّليمي لطيف خلف مُحمَّد: «منهج أبو بكر المالكي في كتابه رياض النُّفوس»، **مجلَّة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانيَّة، مج.19،ع.2**، جامعة الأنبار، العراق، جوان/2022م.

هـ/- الرَّسائل الجامعيَّة:

1- دوشة صهيب: **التَّصوف والمجتمع في المغرب الأوسط من القرن 6هـ/10م**، مُذكِّرة مُكمِّلة لنيل شهادة الماستر(**غ.م**)، تخ: تاريخ الغرب في العصر الوسيط، قسم التَّاريخ، كلِّيَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة -مُحمَّد بوضياف – المسيلة، الجزائر، 2020م.

2- رضوان فاطمة عبد القادر: **مدينة القيروان في عهد الأغالبة (184- 296هـ)**، أطروحة لنيل شهادة الدُّكتوراه(**غ.م**)، تخ: التَّاريخ الإسلامي قسم الدِّراسات العليا التَّاريخيَّة والحضاريَّة، جامعة أمُّ القرى، مكَّة المكرَّمة، 1991م.

3- صاحي بوعلام: **الحياة العلميَّة بإفريقيَّة في عصر الدَّولة الأغلبية [184-296هـ/800-909م]**، أطروحة دكتوراه(**غ.م**)، تخ: التَّاريخ الوسيط، قسم التَّاريخ، كلِّيَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة بن يوسف بن خدَّة، الجزائر، 2008م.

الفهارس

فهرس المحتويات

الإهداء.....

شكر وعرفان.....

قائمة المختصرات.....

المقدِّمة.....10

الفصل الأوَّل: لمحة جغرافيَّة وتاريخيَّة عن إفريقيَّة والقيروان

المبحث الأوَّل– الإطار الجغرافي لولاية إفريقيَّة.....16

المبحث الثَّاني– الإطار الجغرافي لمدينة القيروان.....17

المبحث الثَّالث– الأوضاع العامة لإفريقيَّة والقيروان.....18

الفصل الثَّاني: التَّعريف بالمؤَلِّف والكتاب

المبحث الأوَّل – حياة أبوبكر عبد الله المالكي.....28

المبحث الثَّاني – تقديم كتاب (رياض النُّفوس).....32

الفصل الثَّالث: الحركة الزُّهديَّة وارهاصات ظهورها بإفريقيَّة

المبحث الأوَّل – مفهوم الحركة الزُّهديَّة وظهورها بإفريقيَّة.....39

المبحث الثَّاني – نماذج لأهمِّ زهَّاد إفريقيَّة من خلال كتاب المالكي وأثرهم في حياة العامة..43

الخاتمة.....53

الملاحق.....56

قائمة المصادر والمراجع.....67

فهرس المحتويات.....73